

مَعْرَاجُ التَّصَوُّفِ

إِلَى حَقَائِقِ النَّصُوفِ

وَيَلِيهِ كِتَابُ

كَشْفِ النِّقَابِ

عَنْ سِرِّ الْأَلْبَابِ

لِلشَّيْخِ

عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ عَجِيْبَةَ

ت: 1224 هـ

تقديم وتحقيق

د. عَبْدِ الْمَجِيدِ خِيَالِي

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء

مَعْرِجُ التَّصَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ النَّصُوفِ

لِلشَّيْخِ
عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ عَجِيْبَةَ
ت: 1224 هـ

تقديم وتحرير
د. عبد المجيد خيالي

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

1 / الحمد لله الذي حَقَّقَ الحَقَائِقَ ، وأَوْضَحَ الطَّرَاقَ ، والصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا [(1)] وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ سَيِّدِ الْخَلَائِقِ ، وَالْمَخْصُوصِ بِتَوَاتُرِ الْمُعْجَزَاتِ ، وَتَظَاهِرِ الْخَوَارِقِ ، وَرَضِيهِ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَعْلَامِ ، الَّذِينَ أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِمْ دِينَهُ (2) الْقَيُومِ فِي أَقْصَى الْمَغَارِبِ وَالْمَشَارِقِ .

وَبَعْدُ : [فَعَلِمُ] (3) النَّصُوفُ هُوَ سَيِّدُ الْعُلُومِ وَرَئِيسُهَا ، وَبَابُ الشَّرِيعَةِ وَأَسَاسُهَا ، وَكَيْفَ لَا ، وَهُوَ تَفْسِيرٌ لِمَقَامِ الْإِحْسَانِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ الشَّهَادَةِ وَالْعِيَانِ ، كَمَا أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ تَفْسِيرٌ لِمَقَامِ الْإِيمَانِ ، وَعِلْمُ الْفِقْهِ تَفْسِيرٌ لِمَقَامِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ اشْتَمَلَ حَدِيثُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَمِيعِ ، فَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الْعُلُومِ تَبَيَّنَ أَنَّ الْأَشْتَغَالَ بِهِ أَفْضَلُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِكَوْنِهِ سَبَبًا لِلْمَعْرِفَةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ الْعِيَانِ .

وَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى حَقَائِقِ غَرِيبَةٍ ، وَعِبَارَاتٍ دَقِيقَةٍ ، اصْطَلَحَ الْقَوْمُ عَلَى اسْتِعْمَالِهَا . فَيَنْبَغِي الْوُقُوفَ عَلَى مَعَانِيهَا ، لِمَنْ أَرَادَ الْخَوْضَ فِيهَا ، وَالرَّقُوفَ عَلَى مَعَانِيهَا ، وَقَدْ أُرِدَتْ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، أَنْ أَجْمَعَ نَبْذَةَ صَالِحَةٍ مِنْ حَقَائِقِ هَذَا الْفَنِّ وَاصْطِلَاحَاتِهِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُ بِهِ مَنْ يَرِيدُ الْوُقُوفَ عَلَى عِلْمِ الْعِلْمِ .

وَسَمِيَتْهُ : مَعْرَاجُ النَّشُوفِ إِلَى حَقَائِقِ النَّصُوفِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ ، وَهِيَ الْهَادِي إِلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ . . . وَسَاذَكَرَ لِكُلِّ حَقِيقَةٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا بِدَايَةِ وَوَسَطًا وَنَهَايَةَ .

1 - النَّصُوفُ : عِلْمٌ يَعْرِفُ بِهِ كَيْفِيَّةَ السَّلُوكِ إِلَى حَضْرَةِ مَلِكِ الْمَلِكِ ، أَوْ تَصْفِيَةِ الْبُؤَاطِنِ مِنَ الرَّذَائِلِ وَتَحْلِيلِهَا بِأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ ، أَوْ غَيْبَةِ الْخَلْقِ فِي شَهَادَةِ

(1) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ : أ . الزِّيَادَةُ مِنْ : ب .

(2) أ . دِينِ . النَّصُوبِ مِنْ : ب .

(3) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ : أ . الزِّيَادَةُ مِنْ : ب .

الحق، أو مع الرجوع إلى الأثر فأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة .
 2- واشتقاقه : إما من الصَّفَا ؛ لأن مداره على التصفية ، أو من الصَّفَّة ؛ لأنه
 اتصاف بالكمالات ، أو من صَفَّة المسجد النبوي ؛ لأنهم منسبهون بأهل الصَّفَّة
 في التوجه والانقطاع ، أو من الصوف ؛ لأجل لباسهم الصوف تقسلا من الدنيا
 وزهداً فيها اختاروا ذلك ؛ لأنه كان لباس الأنبياء عليهم السلام ، وهذا .
 3- الاشتقاق : أَلْبَقُ لُغَةً ، وأظهر نسبة ، لأن لباس الصوف حكم ظاهر على
 الظاهر ، ونسبتهم إلى غيره أمر باطن ، والحكم بالظاهر أوفق وأقرب . يقال :
 تَصَوَّفَ إذا لبس الصوف . كما يقال : تَقَمَّصَ إذا لبسَ القميص ، والنسبة إليه
 صوفي .

قال سهل (1) : « الصُّوفِيُّ من صَفَى من الكدر / 2 / وامتلأ من الفكر ،
 وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر (2) (3) أي (4) لا رغبة
 له في شيء . (5) دُونَ مَوْلَاهُ » .

قال الجنيد (6) : « الصُّوفِيُّ كَالأَرْضِ يُطْرَحُ عَلَيْهَا كُلُّ قَبِيحٍ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا
 إِلَّا المَلِيحُ » .

(1) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عميد الله بن رفيع التستري
 نخرج عن حاله محمد بن سوار ، ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم ، توفي
 سنة (283هـ) ، وقيل : سنة (273هـ) ترجم له في . صفة الصفة . (4 / 41 - 42)
 الطبقات الكبرى للشعراني . (1 / 77 - 79 رقم 149) . طبقات الصوفية للسلمي
 (ص 166 - 171) .

(2) المدر : قطع الطين اليابس ، وقيل : الطين العَلْتُ الذي لا رمل فيه . لسان العرب لابن
 منظور مادة « مدر » . (5 / 162) .

(3) انظر نقل هذا التعريف في كتاب : « التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاهدى المتوفى سنة
 (380هـ) » . (ص : 19) . وانظر مثله لأبي بكر السبلي في حلية الأولياء . (23/1) .

(4) سقط من : أ ، الزيادة من : ب .

(5) سقط من : أ ، الزيادة من : ب .

(6) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز القواريري كان أبوه يبيع الزجاج ، أصله =

وقال أيضا : « الصُّوفِيُّ كالأرضِ يطأها البرُّ والنفاجرُ . وكالسماءِ يُظَلُّ كلُّ شيءٍ ، وكالمطرِ يسقي كلَّ شيءٍ » . ١ هـ .

4 - التوبة : الرجوع عن كل فعل قبيح ، إلى كل فعل مباح ، أو عن كل وصف ذمّي إلى التحقّق بكل وصف سنّي^(١) ، أو عن شهود الخلق إلى الاستغراق في شهود الحق^(٢) .

وشروطها : الندمُ والإفلاعُ ونفي الإصرار . وأما ردُّ المظالمِ ففرض مستقلّ تصحُّ بدونه ، كما تصحُّ من ذنب مع الإصرار على آخر من غير نوعه . فتوبة العامة من الذنوب ، وتوبة الخاصة من العيوب ، وتوبة الخاصة من كل ما يشغل السرّ عن حضرة علام الغيوب ، وكلّ المفامات تفتقر إلى التوبة ، فالتوبة تفتقر إلى توبة أخرى بعد نسيحها ، والخوف يفتقر إليها بحصول الأمن والاعتزاز ، والرجاء بحصول القنوط والإياس ، والصبر بحصول الجزع ، والزهد بخواطر الرغبة ، والسورع بتتبع الرخص أو خواطر الطمع ، والنوكل بخواطر التدبير والاختيار ، والاهتمام بالرزق ، والرضا والتسليم بالكراهية ، والتبري عند نزول الأقدار ، والمراقبة بسوء الأدب في الظاهر ، وخواطر السوء في الباطن ، والمحاسبة بتضييع الأوقات في غير ما يقرب إلى الحق والمحبّة بميل القلب إلى غير المحبوب ، والمشاهدة باللتفات السرّ إلى غير المشهود ، أو باستغاله بالوقوف مع شيء من الحسّ وعدم زيادة الترفي في معاريج الأسرار ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام « يستغفر في المجلس الواحد سبعين مرة أو مائة » .

والتوبة النصوح : يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والإفلاع بالأبدان ، وعدم الإصرار بالجنان ، ومهاجرة سيّ^(٣) الخلق .

= من نهارند بمنشأه ومولده بعدد ترفي منه (298 هـ) . ترجم له في طبقات الصوفية (139 - 134) - الرسالة القيسرية (430) .

(1) سنّي : رفيع .

(2) ما بين المعنوقتين سقط من : ب .

(3) سقط من : ب .

وقال سفيان الثوري (1) : علامة التوبة النصوح أربعة : « الْقَلَّةُ ، وَالْعَلَّةُ ، وَالذَّلَّةُ ، وَالغُرْبَةُ » .

5- الإنابة : وهي أخص من التوبة ؛ لأنها رجوع يصحبه انكسارٌ ونهوضٌ إلى السير ، وهي ثلاثة مراتب : رجوع من الذنب إلى التوبة ، ومن الغفلة إلى اليقظة ، ومن الفرق إلى الجمع على الله .

6- الخوف : انزعاجُ القلبِ من لُحوقِ مكروهٍ أو فواتِ مرغوبٍ ، وثمرته : النهوضُ إلى الطاعة ، والسهروبُ من المعصية ، فيُظهِرُ الخوفُ مع (2) التفسيرِ دعوى . فخوفُ العامة من العقابِ ، وفوت (3) الثواب . . وخوفُ الخاصة من العتابِ وفوتِ الاقترابِ . وخوفُ خاصة الخاصة من الاحتجابِ / 3 / بعروضِ سوءِ الأدبِ .

7- الرجاء (4) : سكون القلب إلى انتظار محبوب بشرط السعي في أسبابه ، والإفانيتهاً وغرورٌ . فرجاء العامة حُسنُ المآبِ بحصولِ الثوابِ ، ورجاء الخاصة حصولِ الرضوانِ والاقترابِ ، ورجاء خاصة الخاصة التمسكين من الشهود وزيادة الترفي في أسرار المملك الودود (5) . والخوف والرجاء للقلب كجناحي الطير ، لا يطير إلا بهما ، وزيماً يُرَجِّحُ الرجاء عند العارفين ، والخوف عند الصالحين .

8- الصبر (6) : حبس القلب على حكم الرب ، فصبر العامة حبس القلب

(1) هو سفيان بن سعيد التوري لقبه شعبة بأسير المؤمنين في الحديث ، توفي بالبصرة سنة (161 هـ) في خلافة المهدي . ترجم له في . صفة الصفوة : (71/3 - 74) - تاريخ الثقات للعجلي (ص : 190 - 193 رقم 571) .

(2) ب : من .

(3) ا . وفوات . والنصوب من : ب .

* للزيد عن تعريف التوبة انظر الرسالة القشيرية (ص 91 - 97) .

(4) قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ ﴾ [العنكبوت آية : 5] .

(5) في ب : المعبود .

(6) قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل آية . 127] . وعن انس قال رسول

الله ﷺ : « الصبر عند الصدمة الأولى » أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الجنائز .

باب الصبر عند الصدمة الأولى حديث (1302) .

على مشاق الطاعات ورفض المخالفات . وصبر الخاصة : حبس النفس على الرياضات والمجاهدات وارتكاب الأهوال في سلوك طريق الأحوال ، مع مرافقة القلب في دوام الخضوع ، وطلب رفع الستور . وصبر خاصة الخاصة : حبس الروح ، أو السرّ في حضرة المشاهدات والمعاینات ، أو دوام النظرة والعكوف في الحضرة .

9- الشكر (1) : فرح القلب بصحور النعمة مع صرف الجوارح في طاعة المنعم ، أو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع . ومرجع ثلاث : شكر باللسان : وهو اعترافه بالنعمة ؛ بنعمة الاستكانة . وشكر بالبدن وهو اتصافه بالخدمة . وشكر بالقلب : وهو شهود المنعم عند حصول النعمة . « ومرجع الكل إلى ما قال الجنيد : ألا يعصي الله بنعمه ، فشكر العامة الثناء باللسان وشكر الخاصة الخدمة بالأركان ، وشكر خاصة الخاصة الاستغراق في شهود المنان » (2) .

10- الورع (3) : كف النفس عن ارتكاب ما تكره عاقبته . فورع العامة ترك الحرام المتشابه ، وورع الخاصة ترك كل ما يكدر القلب ويجد منه كزازة وظلمة ، ويجمع قوله عليه السلام : « دع ما يريبك ، إلى ما لا يريبك » (4) . وورع خاصة الخاصة : رفض التعلق بغير الله ، وسد باب الطمع في غير الله ، وعكوف الهم على الله ، وعدم الركون إلى شيء سواه . وهذا هو الورع الذي هو ملاك الدين كما قال الحسن البصري (5) حين سئل عن ملاك الدين ؟ فقال: الورع . قيل له :

(1) قال تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » [سورة إبراهيم آية 7] .

(2) ما بين المعنويتين سقط من المطبوع .

(3) السورع : هو الابتعاد عن الشبهات والمعاصي . وفي الحديث « كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ » رواه أبو هريرة وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب الورع والتقوى حديث (4217) وقد حسنه الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد .

(4) أخرجه الترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب (60) حديث (2525/8) (4 / 232) برواية الحسن بن علي وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(5) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري توفي سنة (110 هـ) . ترجم له في تاريخ =

وما فساد الدين ؟ قال : الطمع . فَأَلْوَرُخُ الَّذِي بِنَسَابِلِ الطَّمَعِ كُلِّ الْمَقَابِلَةِ هُوَ وَرِعٌ خَاصَّةٌ الْخَاصَّةُ وَجِزءٌ مِنْهُ يَعْدِلُ آلَافًا مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ . وَلِذَا قَالَ فِي التَّنْوِيرِ :
 بَلِيسٌ يَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْعَبْدِ كَثْرَةَ عِلْمِهِ وَلَا مَدَاوِمَتَهُ عَلَى وَرْدِهِ ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
 نُورِهِ وَفَهْمِهِ غِنَاءُ بَرِيهِ ، وَأَنْحِيَاشُهُ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ ، وَالتَّحَرُّزُ مِنْ رِقِّ الطَّمَعِ بِالتَّحْلِي
 بِحَلْبَةِ الْوَرَعِ (1) (أ . هـ) . يَعْنِي وَرِعٌ الْخَاصَّةُ أَوْ خَاصَّةٌ الْخَاصَّةُ . . وَاللَّهُ تَعَالَى
 اعْلَمُ (2) .

11 - الزهد : خلو القلب من التعلق بغير الرب . أو برودة الذنبا من القلب ،
 / 4 / وعزوف النفس عنها . فزهد العامة ترك ما فضل عن الحاجة في كل شيء .
 وزهد الخاصة ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله في كل حال . وزهد خاصة
 الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله في جميع الأوقات . وحاصل الجميع برودة
 القلب عن السوى ، وعن الرغبة في غير الحبيب وهو سبب المحبة كما قال عليه
 السلام : « ازهد في الدنيا يحبك الله » (2) . . الحديث وهو سبب السير إلى الوصول
 إذا لا سبب للقلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب .

12 - التسوكل (3) : ثقة القلب بالله حتى لا يعتمد على شيء سواه ، والتعلق

= الثقات للعجلي (ص 113) - صفة الصفوة (2 / 127) - تهذيب التهذيب
 (2 / 263 - 270) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (ص 56).

(ع) عن الورع : انظر الرسالة القشيرية (ص 109 - 115)

(1) انظر هذا النص في كتاب التنوير هي إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري (ص 64)
 مطبوعات مكتبة عباس شقرون - بدون تاريخ .

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه . كتاب الزهد (37) باب في الزهد في الدنيا (1) . حديث
 (4102) ، والحاكم في المستدرک ، كتاب الرقائق ، باب : ازهد في الدنيا (4 / 313)
 - أبو نعيم في الحلية ضمن ترجمة سلسة بن دينار (3 / 253) (240) . - ذكره السيربوري
 في المشكاة (3 / 1433) ، عزاه للزهدي ، وعزوه هذا غير سديد .

(3) قال سنهبل بن عبد الله : « أول مقام في التركل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل
 كأنه بين يدي العاسل بما به كيف شاء ، لا يكون له حركه ولا تدبير . وقال القصار :
 التوكل هو الاعتصام بالله تعالى . الرسالة (ص 163) .

بالله والتعويل عليه في كل شيء علمًا بأنه عالم بكل شيء . أو أن تكون بما في يد الله أو ثقتك منك بما في يدك ، فأدناه أن تكون مع الله كالمؤكل مع الكيل الشفيق الملائف ، ووسطه كالطفل مع أمه لا يرجع في جميع أموره إلا إليها ، وأعله أن تكون كالميت مع الغاسل ، فالأول للعمامة ، والثاني للخاصة ، والثالث للخاصة الخاصة . فالأول قد يخطر بباله نهفة ، والثاني لا اتهام له ، لكن يتعلق بأمه عند الحاجة ، والثالث لا اتهام له ولا تعلق لانه فان عن نفسه ، ينظر كل ساعة ما يفعل الله به .

13 - الرضا والتسليم : الرضا تلقي المهالك بوجه ضاحك أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء . أو ترك الاختيار على الله فيما دبر وأمضى ، أو شرح الصدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار .

14 - والتسليم : ترك التدبير ، والاختيار بالسكون تحت مجاري الأقدار فيرادف الرضا على الحد الأخير ، والرضا أعظم منه على الأولين . وقيل : الرضا يكون عند النزول ، والتسليم قبل النزول ، وهو التضيوض بعينه ، فبدايتهما بالصبر والمجاهدة ، ووسطهما بالسكون مع خواطر التبرم والكراهية ، ونهايتهما بفرح وسكون مع عدم التبرم . فالأول للعمامة ، والثاني للخاصة ، والثالث للخاصة الخاصة . ويغتر الخاطر الأول عند الجميع لضعف البشرية إذ لا يخلو منه بشر .

15 - المراقبة (*) : إدامة علم العبد باطلاع الرب (1) ، أو القيام بحقوق الله سرًا وجهراً خالصًا من الأوهام . صادقًا في الاحترام ، وهي أصل كل خير (2) ، ويقدرها تكون المشاهدة ، فمن عظمت مراقبته ، عظمت بعد ذلك مشاهدته . فمراقبة أهل الظاهر : حفظ الجوارح من الهفوات ، ومراقبة أهل الباطن : حفظ

(1) ورد هذا التعريف في الرسالة القشيرية مع إسقاط كلمة : « إدامة » (ص 189) .

(2) ب : شيء .

(*) قال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الاحزاب : 52] .

- سئل ابن عطاء : ما أفضل الطاعات ؟ فقال : مراقبة الحق على تمام الأوقات .

الرسالة القشيرية (ص : 191) .

القلوب من الاسترسال مع الخواطر والغفلات ، ومراقبة أهل باطن الباطن ؛ حفظ السر من المساكنة إلى غير الله .

16- المحاسبة : عتاب النفس على تضييع الانفاس والأوقات في غير أنواع الطاعات ، وتكون آخر النهار كما أن / 5 / المشاركة تكون أول النهار . ويقول لنفسه في أول نهاره : هذا يوم جديد ، وهو عليك شهيد ، فاجتهدني في تعبير أوقاته بما يقربك إلى الله ولو مت بالأمس لفاتك الخير الذي تفوزين به فيه ، وكذلك بنول لها عند إقبال الليل ويحاسبها عند إيداره . هكذا يدوم معها حتى تتسكن من الحضرة ، فحينئذ يتحد الوقت وهو الاستغراق في [الشهود] (1) ، فلا يبقى من يحاسب ولا من يعافب . فتحصل : أن المشاركة أولاً ، والمحاسبة أخيراً . والمراقبة دائماً ما دام في السير . فإذا حصل الوصول فلا محاسبة ولا مشاركة .

16- المحبة (2) : ميل دائم بقلب هانم ، وبظهور هذا الميل أولاً على الجوارح الظاهرة بالخدمة ، وهو مقام الأبرار . وثانياً على القلوب الشائقة بالتصفية والتحلية ، وهو مقام المريدين السالكين . وثالثاً على الأرواح والأسرار الصافية بالتسكين ، من شهود المحبوب . وهو مقام العارفين . فبداية المحبة ظهور أثر بالخدمة ، ووسطها ظهور أثرها بالشكر والهيام ، ونهايتها ظهوره بالسكون والصحو في مقام العرفان . فلهذا انقسم الناس على ثلاث مراتب ؛ أرباب الخدمة ، وأرباب الأحوال وأرباب المقامات . فبدايتها سلوك وخدمة ، ووسطها جذب وفناء . ونهايتها صحو وبقاء .

(1) ما بين المعنويتين سقط من . أ . الزيادة من . ب .

(2) قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : 54] . وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله كره لقاء الله لقائه » الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب لقاء الله . حديث (6508) (مس . 1640) .

(3) عن المساهدة راجع كتاب التلذذ للطنوسي (مس 62 - 64) .

18-19 - المشاهدة⁽⁴⁾ والمعابنة : المشاهدة رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة ، فترجع إلى تكثيف اللطيف ، فإذا ترقى الوداد ، ورجعت الأنوار الكثيفة⁽¹⁾ لطيفة فهي المعابنة ، فترجع إلى تلطيف الكثيف ، فالمعابنة أرق من المشاهدة وأتم . والحاصل أن شهود الذات لا يمكن إلا بواسطة تكثيف أسرارها اللطيفة في مظاهر التجليات ، إذ لا يمكن إدراك اللطيف ما دام لطيفاً ، ف رؤية التجليات كثيفة المشاهدة ، وردّها إلى أصلها بانفلاق بحر الأحادية عليها معابنة ، قيل : هما سواء .

20 - المعرفة : وهي التسكن من المشاهدة واتصالها ، فهي شهود دائم بقلب هاتم ، فلا⁽²⁾ يشهد إلا مولاة ، ولا يعرج على أحد سواه ، مع إقامة العدل وحفظ مراسم الشريعة . فهذه حدود المقامات قد انتهت في المعرفة . ثم ترجع إلى حقائق أخرى يكثر استعمالها بداية ونهاية منها :

21 - التقوى⁽³⁾ : وهي امتثال الأوامر ، واجتناب المنكر في الظواهر والسرائر ، أو مواصلة الطاعات والإعراض عن المخالفات ، فستقوى العامة : اجتناب الذنوب وتقوى الخاصة : التخلي من العيوب ، وتقوى خاصة الخاصة : الغيبة عن السوي بالعكوف في حضرة علام⁽³⁾ الغيوب .

22 - الاستقامة⁽⁴⁾ : استعمال / 6 / العلم بأقوال الرسول عليه السلام ،

(*) عن المشاهدة راجع كتاب التَّمَع للطبرسي (ص 62 - 64) .

(1) سقط من : ب .

(2) في ب : فما .

(*) قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾ [الحجرات : 13] . قال أبو بكر محمد الروذباري : التقوى مجانية ما يبعدك عن الله تعالى . الرسالة الفسنية (ص 106) .

(3) سقط من : ب .

(4) قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْهَمُوا تَتَرَى الْمَلَائِكَةَ آتِيَةً أَعْرَافَهُمْ وَلَا يَحِزُّونَ وَأَنْشُرُوا بِالْحُجَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تَوَعَدُونَ ﴾ [فصلت : 29] .

وأفعاله وأحواله وأخلاقه من غير تعمق ولا تأنيق ولا ميل مع أوهام الوسواس ، والخروج عن المعهودات ، ومفارقة الرسوم والعادات ، والقيام بين يدي الله تعالى عن حقيقة الصدق في جميع الحالات . وهي في الأقوال بترك الغيبة ، وفي الأفعال بترك البدعة ، وفي الأحوال بعدم الخروج عن سنن الشريعة . فاستقامة العامة بموافقة السنة ، واستقامة الخاصة بالتخلق بالأخلاق النبوية . واستقامة خاصة الخاصة بالتخلق بأخلاق الرحمن ، مع الاستغراق في حضرة العيان .

23 - الإخلاص : إخراج الخلق في معاملة الحق ، وإفراد الحق تعالى في الطاعة بالتقصد أو غيبة القلب عن غير الرب . فإخلاص العامة تصفية الأعمال عن ملاحظة المخلوقين ، وإخلاص الخاصة تصفيتها عن طلب العوض في الدارين . وإخلاص خاصة الخاصة التبسري من الحول والقوة ، ومن رؤية الغير في القصد والحركة حتى يكون العمل بالله ، ومن الله ، وإلى الله غائباً عما سواه .

24 - الصدق (*) : إسقاط حظوظ النفس في الوجهة إلى الله تعالى تعويلاً على ثلج اليقين ، أو استواء الظاهر والباطن في الأقوال والأفعال والأحوال ، وملازمة الكتمان غيرة على أسرار الرحمن ، وحاصله : تصفية الباطن من الالتفات إلى الغير بالكلية . والفرق بينه وبين الإخلاص ، أن الإخلاص ينفي الشرك الجلي والخبفي ، والصدق ينفي النفاق والمداهنة بالكلية .

فمثال الصدق مع الإخلاص كالشجرة للذهب ، فهو ينفي عنه عوارض النفاق ، ويصفيه من كدرات الأوهام ، وذلك أن صاحب الإخلاص لا يخلو من مداهنة النفس ومسامحة الهوى . بخلاف صاحب الصدق ، فإنه يذهب بالمداهينات ، ويرفع المسامحات ، إذا لا يشم رائحة الصدق من داهن نفسه أو غيره مما ذق أو جل .

(*) قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النوبة آية :

وعلامه الصدق : استواء [السر] (1) والعلانية ؛ فلا يبالي صاحب الصدق بكشف ما يكره إطلاع الناس عليه ، ولا يستحيي من ظهوره لغيره اكتفاء بعلم الله به . فصدق العامة . تصفية الأعسال من طلب الأعراض . وصدق الخاصة : تصفية الأحوال من قصد غير الله . وصدق خاصة الخاصة : تصفية مشرب النوحيد من الالتفات إلى ما سوى الله . ويقال لصاحب المقام الأول : صادق . ولثاني والثالث صدّيق . وأما التصديق بوجود الحق أو بوجود الخصوصية عند الأولياء وتعظيمهم لاجلها ، فهو تصديق لا صادق ، بخلاف ما يعتقده بعض فترا- زماننا هذا .

ويقال لمن عظم / 7 / تصديقه : صدّيقاً ايضاً . فالصدّيق يطلق على من عظم صدقه أو تصديقه .

25 - الطمأنينة (2) : وهي سكون القلب (2) إلى الله عارياً عن التقلب والاضطراب ؛ ثقة بضمائنه ؛ واكتفاء بعلمه ؛ أو رسوخاً في معرفته . وتكون من وراء الحجاب بتواتر الأدلة واستعمال الفكرة ، أو بتوالي الطاعة ومجاهدة الرياضة ، وتكون بعد زوال الحجاب بتمكن (3) النظرة ورسوخ المعرفة ، فقوم اطمأنوا بوجود الله من طريق البرهان أو البيان ، وقوم اطمأنوا بشهود الله بعد ظهوره من طريق العيان . فالأول للعلماء ، والثاني للعباد والزهاد والصالحين ، والثالث للعارفين المقربين .

(1) ما بين المعقوفين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(2) قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ۖ [الفجر: آية 27] . وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۖ [الرعد: آية 29] .

قال الطوسي في كتابه اللمع : « الطمأنينة حال رفيع وهي لعبد رجح عقله وقوي إيمانه ورسخ علمه ووصفاً ذكره وثبت حقيقته » . (ص : 62) .

(2) سقط من : ب .

(3) في ب . بتمكين .

27- الشوق والاشتياق (٤) : الشوف : انزعاج (١) القلب إلى لقاء الحبيب .
والاشتياق (2) : ارتياح القلب إلى دوام الاتصال به ، فالشوف يزول برؤية
الحبيب ولفاته .

والاشتياق لا يزول أبداً لطلب الروح الزيادة في كشف الاسرار والغرب إلى
الابد ، فشوق العامة إلى زخارف جنانه ، وشوق الخاصة إلى نيل رضوانه ،
وشوق خاصة الخاصة إلى حضرة عيانه .
28- الغيرة (3) : كراهية رؤية حبيبك عند غيرك فيهيج التنافس في حيازته .

قال الشبلي : الغيرة غيرتان : فغيرة البشرية على النفوس ، وغيره الإلهية
على القلوب هـ . ومعناه : أن الطبع البشري يكره أن يرى محبوبه عند غيره ،
كالزوجة مثلاً . والحق تعالى يكره أن يرى قلوب أوليائه متعلقة بغيره . وفي
الحديث : « لا شيء أغبر من الله » (4) . ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما
بطن . اهـ . وما في الوجود إلا الغيرة الإلهية سرّت في مظاهر تجلياته . فغيرة
النفوس للعامة ؛ وهي غيرتهم على هتك حرمة حريمهم ، وغيره القلوب للخاصة
وهي غيرتهم على قلوبهم أن تميل لغير محبوبهم . وغيره الأرواح والاسرار الخاصة
للخاصة ؛ وهي غيرتهم على أرواحهم أن تلتفت إلى شيء دون محبوبهم .

(٤) قال تعالى . ﴿ من كان يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ ﴾ [العنكبوت: 4] .

(1) في الرسالة القشيرية . احتياج : (ص 329) .

(2) قال القشيري سمعت الأستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله تعالى يفرق بين الشوق والاشتياق
فيقول : الشوق بسكن باللقاء والرؤية . والاشتياق لا يزول بالفاء وفي معناه انشدوا:

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

(ص 329) .

(3) عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يغارُ وغيره الله أن يأتي المؤمن ما
حرم الله » أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح ، باب الغيرة . حديث (5223) .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح ، باب الغيرة . حديث (5222) (ص
1342) . من رواية أسماء ، رضي الله تعالى عنها .

وغيرهم على حسيبيهم (1) أن يميل إلى غيرهم ، وعلى هذا الأمر العظيم ، حق العبد أن يغار كما قال الشاعر :

إذا لم أنافس في هواك ولم أغرْ
عَلَيْكَ ففِي مَنْ لَيْتَ شِعْرِي أَنَا فِسْ ؟
فَلَا تَمَقَّنْ نَفْسِي فَأَنْتَ حَيِّبَهَا
فكُلُّ أَمْرِي يُصْبِرُ إِلَى مَنْ يُجَانِسُ

وقد يغاز الحق تعالى على أوليائه فينتقم من أعدائهم إذا أذوهم . ومن غيرته أيضاً عليهم : ألا يظهرهم لجميع (2) الخلق فيضن بهم على خلقه ، حتى يلقوه تحت أستار الخمول وهم عرائس حضرته .

29- الفتوة (3) : وهي الإيثار على النفس بما تحب ، والإحسان S إلى الخلق بما يحب . ولذا قيل : لم تكمل الفتوة إلا لرسول الله ﷺ حيث يقول في موضع لا يذكر فيه أحداً إلا نفسه : « أمتي أمتي » (4) . وقيل : لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك ، والفتى من لا خصم له ، ومرجعها إلى السخاء والنواضع والشجاعة في مواطن الاضطراب ، ففتوة العامة بالأموال ، وفتوة الخاصة بالنفوس ، وفتوة خاصة الخاصة بالأرواح ، وبذل المهج في جانب المحبوب .

30- الإرادة : وهي قصد الوصول إلى المحبوب بنعت المجاهدة (5) أو التحبب إلى الله بما يرضى ، والخلوص في نصيحة الأمة والانس بالخلود ، والصبر على مقاساة الأهوال ، ومنازلات الأحوال ، والإبثار لأمره ، والحيا ، من نظره ، وبذل المجهود في محبوبه ، والتعرض لكل سبب يوصل إليه ، وصحبة من يدل عليه ، والقناعة بالחסول وعدم سكون القلب إلى شيء دون الوصول ؛ وهي أول منزلة

(1) في 1 : الجيب . التصويب من : ب .

(2) في ب : جُدلة .

(3) سئل أحمد بن حنبل ما الفتوة ؟ فقال : « ترك ما تهري لما تخشى » . وقال الخازن المحاسبي : « الفتوة أن تنصف وتنصف » الرسالة (ص 227) .

(4) انظر الحديث بأتمه في صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي ﷺ لامته وبكاته شفقة عليهم . حديث (203) (ص : 129) من رواية عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه .

(5) في 1 : المشاهدة .

القاصدين ، وبدء طريق السالكين . والمريد : من لا إرادة له دون مولاه ، وهي ثلاث مراتب : إرادة التبرك والحرمة وهي لمن ضعفت همته أو كثرت علانته وإرادة الوصول إلى الحضرة وهي لاهل التجريد وقوة⁽¹⁾ العزم وإرادة الخلافة ، وكمال المعرفة وهي لمن ظهرت نجابته ، وكملت أهليته وصرح له بالخلافة من شيخ كامل وهاتف صادق .

31 - المجاهدة : وهي فطمُ النَّفس عن المألوفات وحملها على مخالفة هواها في عزم الأوقات ، وخرق عوائلها في جميع الحالات . قال بعضهم : مرجعها إلى ثلاث : ألا تأكل إلا عند الفاقة ، ولا تنم إلا عند الغلبة ، ولا نتكلم إلا عند الضرورة آه .

وإنهايتها المشاهدة ، فلا تجتمع مجاهدة ولا مشاهدة ؛ إذ نهاية التعب تمام السفر ، فإذا حصل الوصول فما بقي إلا الراحة ومشاهدة الحبيب ، مع حفظ الأدب ، وهي ثلاث : مجاهدة الظواهر بدوام الطاعات وكف المنهيات ، ومجاهدة البواطن بنفي الخواطر الرديئة ، ودوام الحضور في الحضرة القدسية ، ومجاهدة السرائر باستدامة الشهود وعدم الالتفات إلى غير المعبود .

32 - الولاية : وهي حصول الأُنس بعد المكابدة ، واعتناق الروح بعد المجاهدة ، وحاصلها تحقيق الفناء⁽²⁾ في الذات بعد ذهاب حسن الكائنات ، فيفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل ، فأولها التمكن من الفناء ، ونهايتها تحقيق البقاء وبقاء البقاء ، ويبقى الترقى والاتساع فيها أبداً سرمداً [إلى ما لا نهاية له]⁽³⁾ .

قال إبراهيم بن أدهم لرجل⁽⁴⁾ : « أحب أن تكون لله ولياً ؟ قال : نعم ،

(1) ذي ب . بذوق

(2) ب : الفاني .

(3) ما بين المعرفتين منقطع من : أ . الزيادة من : ب .

(4) إبراهيم بن أدهم من أبناء الملوك والمياسير . توفي سنة (161هـ - 778 م) ترجم

له في طبقات الصوفية لعبد الرحمن السُّلمي (ص 35 - 42) - الرسالة الفتشيرية

اص 391 ، 392 .

قال : لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة . وَفَرَّغَ نَفْسَكَ لِلَّهِ عِزَّ وَجِلِّ ، وَأَقْبَلْ بِوَجْهِكَ عَلَيْهِ يَرْفُقُ (1) عَلَيْكَ وَيُوَالِيكَ (2) .

وقال غيره : « الولي من كان همه الله ، وشغله الله ، وفناؤه دائماً في الله » (3) / 9/ وتطلق على ثلاث مراتب : ولاية عامة وهي لأهل الإيمان والتقوى كما في الآية : ﴿ إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (4) وولاية خاصة وهي : لأهل الاستشراق على العلم بالله . وولاية خاصة الخاصة وهي : لأهل التمكن في معرفة الله على نعت العيان [وفي الحديث] (5) قِيلَ : مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ » (6) . وفي رواية : « الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا » (7) . الحديث .

فشمّل الحديث ولاية (8) الخاصة ، وخاصة الخاصة [والله تعالى أعلم] (9) .
33- الحرية : وهي تصفية الباطن من [حُب] (10) غير الحق حتى لا يبقى فيه بقية لغير الله ، وهي الحرية الكسبية ، وهي سبب الظفر بالحرية الوهية (11) .
وهي غيبة العبد في مظهر الرب ، فتستفي ظلمة الحدوث في نور القدم ، وتختفي قوالب العبودية في تجلّي مظاهر الربوبية ، فيبقى الحق بلا خلق . فحينئذ

- (1) في الرسالة القشيرية : ليقبل (ص 261) .
- (2) انظر هذا الكلام في الرسالة القشيرية (ص 261) .
- (3) الوايد في الرسالة وقيل : علامة الولي ثلاثة : شغله بالله تعالى وفراره إلى الله تعالى ، وهمه الله عز وجل . الرسالة القشيرية (ص 263) .
- (4) سورة بونس آية : 62 .
- (5) ما بين المعقوفين سقط من : ب .
- (6) انظر الحديث بلفظ آخر في مجمع الزوائد للهيثمى : (77 / 10) .
- (7) انظر الحديث في كتاب الزهد لابن أبي عمير (ص 60) .
- (8) سقط من : ب .
- (9) ما بين المعقوفين سقط من : ب . ومثبت في : أ .
- (10) ما بين المعقوفين سقط من : أ . الزيادة من : ب .
- (11) أ- الإلهية . التصريح من : ب .

يكتب للعبد عند الحرية ، فتكون عبادته [وعبوديته] (1) شكراً لا قهراً كما قال سيد العارفين عليه السلام : « أفلا أكون عبداً شكوراً » (2).

وفال إمام هذه الطريقة (3) الجنيد : « عبادة العارف تاج على الرؤوس »
يعني كمال الكمال .

34 - العبودية (4) : « هي القيام بأداب الربوبية مع شهود ضَعْفِ البشرية » .
وفال بعضهم : « هي القيام بحق الطاعات ، بشرط التوقير والنظر إلى ما منك بعين التفصير . أو ترك الاختيار فيما يبدو من الاقدار ، والتبري من الحول والقوة ، والإقرار بما يوليك ويعطيك » من المنة (5) [وعلامتها ترك التدبير بشهود التقدير] (6) . وأجمع العبارات فيها ما قال ابن عطاء (7) : « حفظ الحدود ، والوفاء (8) بالعهود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفود » .

قلت : وأحسن ما قيل (9) في تفسير العبودية : أن تقدر أن لك عبداً اشتريته بمالك ، فكما نحب أن يكون عبدك معك ، فكأن أنت مع مولاك . فالعبد لا يملك مع سيده شيئاً من نفسه ولا ماله ، ولا يمكنه مع قهرية سيده تدبير ولا اختيار ، ولا يتزين إلا بزي العبيد أهل الخدمة ، ويكون عند أمر سيده ونهيهِ ، وإذا كان

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : ب . ومثبت في : أ .
(2) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب : لَا يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؛ [الفتح آية 2] حديث (4836) (ص1229) من راية المغيرة بلفظ : قام النبي عليه السلام حتى تورمت قدماه ، فقبل له . غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

(3) في ب . الطائفة .
(4) قال تعالى : « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى مَاتِكَ الْفَنِّ » [سورة الحجر آية . 94] .
(5) انظر هذا التعريف حقيقياً في الرسالة القشيرية (ص : 198) .
(6) ما بين المعقوفين سقط من : ب . ومثبت في : أ .
(7) هو أحمد بن عطاء الروذباري . توفي سنة (369 هـ / 979م) . الرسالة القشيرية (ص

حاذقاً فأهتماً عمل (1) ما يُرضي سيِّده قبل أن يأمره ، ويفهم عن سيده بأدنى إشارة إلى غير ذلك من الآداب المرضية في العبيد المؤدبين . وقال أبو علي الدقاق (2) رحمه الله : « العبودية أتم من العبادة » . فأول المراتب عبادة ، ثم عبودية ، ثم عبودية . فالعبادة للعوام (3) ، والعبودية للخواص ، والعبودية لخواص الخواص (4) . اهـ .

قلت : والعبودية هي الحرية الوهية . . . والله تعالى أعلم .

35- القناعة : « الاكتفاء بالقسمة ، وعدم التشوف للزيادة ، والاستغناء بالموجود ، وترك التشوف إلى المفقود » (5) وهي الحياة الطيبة / 10 / والرزق الحسن في قوله تعالى : « ليرزقنهم الله رزقاً حسناً » (6) على قول أبي والذين هاجروا في سبيل الله ، ثم قتل بعضهم ، أو مات ليرزقن الله من بقي منهم رزقاً حسناً . وهو من ثمرة الغنا بالله . قال وهب بن منبه (7) : إن العز والغنا خرجا يجولان فلقياً القناعة فاستقرتا فيها ، ومرجعها إلى سد باب الطمع ، وفتح باب الورع ، وهي مطلوبة في أمور الدنيا فقط . وأما في أمور الآخرة ، أو في زيادة العلم والترقي في المعرفة فمدممة . ولذلك قيل : القناعة من الله حرماناً . اهـ .

36- العافية : وهي سكون القلب وخلوه من الانزعاج والاضطراب والتقلب .

(1) في ب : كل .

(2) أبو علي الدقاق الحسن بن علي النيسابوري . شيخ الصوفية . شاعري المذهب . توفي سنة (406 هـ) . ترجم له في شذرات الذهب : (180/3) - جامع كرامات الأولياء : (466/1 - 467) .

(3) في ب : العوالم .

(4) انظر قول أبو علي الدقاق في الرسالة القشيرية (ص 197) .

(5) قائل هذا الكلام أبي عبد الله بن خفيف المترقي سنة (371 هـ / 982م) . ترجم له في الرسالة القشيرية (ص : 420) . انظر تعريفه بلفظ : « القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود » الرسالة القشيرية (ص : 160) .

(6) سورة الحج آية : 58 .

(7) وهب بن منبه بن كامل البسماني أبو عبد الله الأبنائي : تابعي ثقة كان والياً على قضاء صنعاء . توفي سنة عشر ومائة . وقيل : سنة أربع عشرة ومائة . ترجم له في تاريخ اللغات للعجلي (ص : 467) - صفة الصفوة : (2 / 174 - 177) - تهذيب التهذيب (11 / 166)

ثم إن كان بالسكون إلى الله والرضا عنه فهي العافية الكاملة ، وإن كان بجريان الأسباب الموافقة فهي العافية العادية وفي الحديث : « ما أُعْطِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ » (1) فعافية العامة : سكونهم إلى الأسباب .

فإذا انخرمت اضطربت قلوبهم ، وتزلزلت بخرابها . من نور اليقين ، وعافية الخاصة سكونهم إلى مسبب الأسباب . فعافيتهم دائمة وربما يزيد يقينهم إذا انخرمت الأسباب كما قال بعضهم : « نحن كالنجوم كلما اشتدت الظلمة قوي نورنا » .

وقال ذو النون (2) **يُؤَيِّئُهُ** : « لو كانت السماء من زجاج ، والأرض من نحاس ، ومصر كلها عيالي ما اهتممت لهم برزق » 1 هـ .

وعافية خاصة الخاصة سكونهم إلى شهود الحق غائبين عن الأسباب وعدمها غرقى في بحر التوحيد ، وأسرار التفريد ، لا تنزل الهوموم بساحتهم ولا تكدر صفاء مشربهم . جعلنا الله منهم . . . آمين .

37- اليقين : وهو سكون القلب إلى الله بعلم لا بتغير ولا ينحول ، ولا يتقلب ولا يزول عند هيجان المحركات ، أو ارتقاع الرب في مشاهدة الغيب . وعلامته ثلاث :

رفع الهممة عن الخلق عند الحاجة وترك المدح لهم في العطية والتنزه عن ذمهم عند المنعة ، فيقين العامة بتوحيد أفعاله ، فسكنوا إليه في المنع والعتاء ويقين الخاصة بتوحيد صفاته ، فراوا الخلق موتى ليس بيدهم حركة ولا سكون ، ويقين خاصة الخاصة بتوحيد دانه فشهدوه في كل شيء ، وعرفوه عند كل شيء ، ولم

(1) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات (105) ، باب من أبواب الدعوات . حديث (3569) (327/5) من رواية معاذ بن رفاعة عن أبيه بلفظ : « سلوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية » قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه عن أبي بكر . وقد تفرد به الترمذي من بين الكتب الستة .

(2) ذو النون بن إبراهيم المصري أبو الفيض . توفي سنة (245 هـ / 859 م) . ترجم له في طبقات الصوفية للسلمي (ص 27 - 34) الرسالة الفشيرية (ص . 433) .

يشهدوا معه شيئاً .

38 - 39 - 40 - علم اليقين ، وعين اليقين وحق اليقين : علم اليقين ما كان ناشئاً عن البرهان ، وعين اليقين ما نشأ عن الكشف ، وحق اليقين ما نشأ عن الشهود والعيان ، فعلم اليقين لأرباب العقول من أهل الإيمان ، وعين اليقين لأرباب الوجدان من أهل الاستشراق على العيان ، وحق اليقين لأهل الرسوخ والتسكين في مقام الإحسان . ومثال من ذلك : كمن سسع بمكة مثلاً ولم يرها / 11 / فعنده علم اليقين بوجودها ، فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها فعنده عين اليقين ، فإذا [دخلها] (1) وعرف طرفها وأماكنها ، فهذا عند حق اليقين ، وكذلك الناس في معرفة الحق تعالى [مشفاوتون] (2) ، فأهل الحجاب استدلوا حتى حصل لهم العلم اليقيني بوجود الحق ، وأهل السير من المريدين المستشرفين على الفناء (3) في (4) الذات حصل لهم عين اليقين حين أشرقت عليهم أنوار المعاني ، وغابت عليهم ظلال الآواني ، غير أنهم باقون في دهشة الفناء ، لم يسكنوا من دوام شهود الحق ، فإذا تمكنوا من دوام شهوده ورسخت أقدامهم في معرفته حصل لهم حق اليقين ، وهذه نهاية النعمة وغاية السعادة . جعلنا الله منهم بمنه وكرمه .

41 - النعمة : هي ملازمة الأفرح ومباعدة الأتراح (5) وإصابة الأغراض ونزاهة الأعراض ، وهي على قسمين : نعمة ظاهرة كالصحة والعافية والكفاية من الحلال ، ونعمة باطنية كالإيمان والهداية والمعرفة ، والناس في النعمة الظاهرة على ثلاثة أقسام :

قوم فرحوا بالنعمة لما لهم فيها من المتعة فحججوا بها عن المنعم ، وقوم

(1) ما بين المعنويين في أ : عرفها ، التصويب من : ب .

(2) ما بين المعنويين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(3) سقط من : ب .

(4) في ب : على .

(5) في ب : الأرتباح . والصواب هو الأتراح كما في : أ . والترح ضد الفرح .

فرحوا بالنعمة لإقبال المتع عليهم حيث ذكروهم بها ، وقوم فرحوا بالنعمة دون شيء - سواء .

قال الله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (1) . فشكر الأولين يزول بزوالها ، وشكر الثالث دائم في السراء والضراء ، وهذا هو شكر الخواص .
 42- الفراسة : وهي خاطر يهجم على القلب أو وارد يتجلى فيه لا يخطئ غالباً إذا صفا القلب . وفي الحديث : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » (2) . وهي على حسب قوة القرب والمعرفة ، فكلما قوي القرب وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة ؛ لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لا يتجلى فيها غالباً إلا الحق ، وهي ثلاث مراتب (3) : فراسة العامة وهي كشف ما في ضمائر (4) الناس وما غاب من أحوالهم وهي فتنه في حق من لم يتخلق بأخلاق الرحمن ، وفراسة الخاصة وهي كشف أسرار المقامات والمنازلات والاطلاع على أنوار الملكوت ، وفراسة خاصة الخاصة وهي كشف أسرار الذات وأنوار الصفات ، والفرق في بحر أسرار الجبروت . وقال الكتاني (5) : « هي مكاشفة الحق ومعاينة الغيب » . وقال الواسطي (6) : « هي سواطع أنوار الذات وتمكين جملة السرائر في الغيوب ، من

(1) سورة الأنعام آية 91 .

(2) أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير ، باب ومن سورة الحجر . حديث (3138)

88 / 5 قال الرساذي : هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه . من رواية أبي

سعید الحدري من طريق عطية العوفي قال عنه ابن حجر في كتابه تقريب التهذيب .

صدوق يخطئ كثيراً كان شعبياً منكساً . (1 / 678) رقم 4631 . وأخرجه الطبراني من

رواية أبي أمامة بسند حسن في معجمه الأوسط . حديث (3254) 3 / 312 .

(3) سقط من : ب . (4) ب : ضمير .

(5) هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني أصله من بغداد ، صاحب الجند ، مات

سنة (322 هـ / 934 م) . ترجم له في طبقات الصوفية ص (282 - 286) ، الرسالة

الفشيرية ص (س : 427) .

(6) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي . أصله من فرغانة ، صاحب الجند والنوري .

توفي سنة (331 هـ / 942 م) . ترجم له في طبقات الصوفية ص (232 - 235) ،

الرسالة الفشيرية ص (439 - 440) .

غيب إلى غيب حتى يشهد الانبياء من حيث أشهده الحق إياها فيتكلم على ضمائر الخلق اهـ . قلت : قوله فيتكلم إلخ : ليس بشرط في فراسة الخاصة والله تعالى أعلم .

43- الخُلُقُ : وهي ملكة تصدر عنه الأفعال عنه بسهولة ثم إن كانت الأفعال حسنة كالحلم ، والعفو ، والجود ونحوها سُمِّيَ خَلْقًا حَسَنًا ، وإن كانت / 12 / سيئة كالغضب والعجلة والبخل سُمِّيَ خَلْقًا سَيِّئًا .

قال وهب : ما تَخَلَّقَ عبدٌ بخلق أربعين صباحًا ، إلا جعلَ اللهُ له ذلك طبيعة فيه ، فالخُلُقُ الحسنُ يُكْتَسَبُ ، والسَيِّئُ يُجَاهَدُ حتى يزول . والخُلُقُ الحسنُ يعدل الصيام والقيام ، وهو ثمرة التصوُّف ، فمن لم يحسن خلقه فتصوَّفُ أنسجَارُ بلا ثمار ، ومرجع حسن الخلق : ألا تُغْضِبَ ، ولا تُغْضِبَ ، ولا تُبْخَلَ ولا تُخْتَدَ . وبالله التوفيق .

44 - 45 - 46 - الجودُ والسخاءُ والإيثار : (فالجودُ أن لا يصعب عليه البذل) (1) . فمن أعطى البعض وأبقى الأكثر فصاحب سخاء ، ومن بذل الأكثر فصاحب جود ، ومن قاسى الضراء وآثر غيره فصاحب إيثار ، فجود العامة بالأموال ، وجود الخاصة بالنفوس ، وجود خاصة الخاصة بالأرواح ؛ يسذلونها للسوت بالمجاهدة ، ثم نحيا الحياة الأبدية بالمشاهدة (2) .

47- الفقر : وهو نفص اليد من الدنيا ، وصيانة القلب من إظهار الشكوى . ونعت الفقير الصادق ثلاثة أشياء : صيانة فقره ، وحفظ سره ، وإقامة دينه (3) . وقال جعفر الخَلْدِي : خدمتُ سِت مائة شيخ ، فما وجدت من شَقَا قَلْبِي مِنْ أَرْبَعِ مَسَائِلَ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : اسْأَلْ عَنِ مَسَائِلِكَ ؟ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْعَقْلُ ؟

(1) ما بين علامة التعريف مقتبس من الرسالة القشيرية (ص 247) .

(2) عن الجود والسخاء انظر : الرسالة القشيرية (ص 247 - 254) .

(3) ما بين علامة التعريف مقتبس من الرسالة القشيرية (ص 273) وفيه مكان : « وإقامة

دينه » « وأداء فرضه » .

فقال : « أدناه ترك الدنيا ، وأعلاه ترك التفكير في ذات الله » .

فقلت : وما التوحيد ؟

فقال : « كل ما أتى به الروهم أو جلاه الفسهم ، فربنا عز وجل مخالف

لذلك » .

فقلت : وما التصوف ؟

فقال : « ترك الدعاءوي ، وكتسان المعاني » .

فقلت : وما الفُقر ؟

فقال : « هو سرُّ من أسرار الله يُودِعُهُ فِيمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، فَمَنْ كَمَّهُ فَهُوَ

مِنْ أَهْلِهِ . وَزَادَهُ اللَّهُ مِنْهُ وَمَنْ بَاحَ بِهِ نَفَاهُ اللَّهُ عَنْهُ » (١) .

قلت : جَرَّابُ كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى قَدْرِ مَقَامِهِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « خَاطِبُوا

النَّاسَ بِقَدْرِ مَا يَفْهَمُونَ » (١) .

فقوله عليه السلام في العقل : أعلاه ترك التفكير في ذات الله .

أما التفكير في كُنْهِ الرُّبُوبِيَّةِ منهي عنه ؛ إذ لا بُدْرُك . وأما التفكير في أسرار

الرُّبُوبِيَّةِ وانوار صفاتها ، فلا عبادة أعظم منها .

وقوله أيضاً [عليه السلام] (٢) في التوحيد (٣) : « كل ما أتى به

(١) الحديث ورد بلفظ : « أَمَرْتُ أَنْ أُخَاطَبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ » قال ابن حجر

سنده ضعيف جداً لا موضوع . انظر : فيض القدير لعبد الرؤف المناوي (378 / 3)

المكتبة التجارية مصر ط ١ السنة (1356 هـ) . وفي كتاب المغني عن حبل الأسفل

للعلامة زين الدين العراقي أنه قال . حديث : « كَلِمُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَهُ وَدَعُوا مَا

يُنْكُرُونَ ... » رواه البحاري مرفوعاً على علي ، ورفعه أبو منصور الدلسي في مسد

الفردوس من طريق أبي نعيم . كتاب المغني في تخریج ما في الإحياء : (1 / 39) .

(٢) ما بين المعرفتين سقط من أ ب .

(٣) عن صفة التوحيد انظر كتاب : اللُّمَعُ فِي تَارِيخِ التَّصَوُّفِ الْإِسْلَامِيِّ لِأَبِي نَصْرِ

عبد الله السراج الطوسي (ص 29 - 34) . والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلابندي ص

(154 ، 153) . والرسالة الفسيريّة (ص 298 - 303) .

الوهم... إلخ) . الوهم لا يدرك إلا حسن الكائنات . فهو قصير ، والفهم بلا ذوق ، لا يدرك أسرار التوحيد لأنها خارجة عن الوهم ودرك العقل ، فظهر معنى قوله عليه السلام : كل ما أتى به الوهم... إلخ . وقوله عليه السلام في شأن الفقر : من كتمته فهو من أهله ، أي يكون من السابقين : ويزيده تعالى من أسراره وأنواره ، وهي حلاوة المعاملة والمعرفة .

يحكى : عن أبي علي الدقاق أنه جلس يوماً مع بعض أصحابه ، فكانت منه غفلة حتى شكى ضيق حاله ، فلما نفرق أصحابه ، نام بعضهم ، فهتف به هاتف وقال : بالله أبلغ أبا عبد الله الدقاق / 13 / ما أقول لكم . ثم أنشد :

قل هو ويحمل من ذوي الأقدار الفقر أفضل شيمة الأحرار
يا من شكسا للخلس فغلة ربه هلا شكوت تحمّل الأوزار
إن الذي ألبست من حلل التنبي لو شاء ربك كنت عنه عار

48- الذكر : وهو إذا أطلق ينصرف لذكر اللسان ، وهو ركن قوي في طريق الوصول ، « وهو منشور الولاية ، فمن ألهم الذكر فقد أعطى المنشور ، ومن سلب الذكر فقد عزل » (1) ، فذكر العامة باللسان ، وذكر الخاصة بالجنان ، وذكر خاصة الخاصة بالروح والسر ، وهو الشهود والعيان ، فيذكر الله عند ذكر (2) كل شيء ، وعلى كل شيء ، أي يعرف الله فيه ، وهنا يخرس اللسان ويبقى كالمبهوت في محل العيان . ويعد ذكر اللسان في هذا المقام ضعفاً وبطالة كما قال القائل :

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ إِلَّا هَمَّ يَلْعَنُنِي (3)
سَرِّي وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ ذِكْرِكَ
حَتَّى كَأَنْ رَقِيباً مِنْكَ يَهْتَفُ بِي
إِيَّاكَ وَيَحْكُ وَالْتِدْكَارُ إِيَّاكَ

(1) ما بن مزدجيتين ورد في الرسالة الفشيرية على لسان أبي علي الدقاق وفيه مكان « فمن ألهم » قوله « فمن رفق » (ص: 221) .

(2) سقط من : ب .

(3) في الرسالة الفشيرية : يزجرني . (ص: 223) .

أما ترى الحقَّ قد لاحت شواهدُهُ وواصل الكُلُّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَ(1)
وقال الواسطي : مشيراً لهذا المقام : الذاكرون في ذكره أشدُّ غفلة من الناسين(2)
لذكره ؛ لأن ذكره سواه . ا . هـ .

49- الوقت : قد يطلقونه على ما يكون العبد عليه في الحال من قبض أو بسط
أو حزن أو سرور .

وقال أبو علي الدقاق : « الوقت ما أنت به الحال ، فإن كنت بالدنيا فوقتك
الدنيا ، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى » (3) يريد أن الوقت ما كان الغالب على
الإنسان ، وقد يعنون به الزمان الذي بين الماضي والمستقبل .

يقولون : (الصوفي ابن وقته) يريدون : انه مشتغل بما هو ارلى به في
الوقت(4) . لا يدبّر في مستقبل ولا ماض ، بل يهيمه ما هو فيه ، وكل وقت له
آداب يطلب فيه ، فمن أخلّ بأدبه مقته وفته ، ولذلك قيل : « الوقت كالسيف
فمن لا ينه سلّم ، ومن خاشنه قُصِم »(5) . وملايئته القيام بأدبه ، فوفت القهرية
آدابه الرضا والتسليم تحت مجاري الأقدار ، ووقت النعمة آدابه الشكر ، ووقت
الطاعة آدابه شهرد المنة من الله ، ووقت المعصية آدابه التوبة والإنابة .

50- الحال والمقام : « الحال : معنى يرد على القلب من غير تعمّد ولا
اجتلاب ، ولا تسبب ولا اكتساب ، من بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج ، أو
هيبه أو احتياج »(6) . ويظهر أثره على الجوارح قبل التمكين ، من شطح ورقص
وسير وهيام ؛ وهو أثرُ المحبة لأنها تحرك الساكن أولاً ، ثم تسكن وتنظمتن ؛ ولذا

(1) هذا البيت رحده لم يرد في لرسالة بينما البيتين الاولين وردا في الرسالة الفشيرية (ص
223).

(2) ب : الناس .

(3) ما بين المزدجيتين ورد في الرسالة (ص : 55) .

(4) الرسالة : (ص : 55) .

(5) في الرسالة : اصطلم أي استوصل .

(6) ما بين المزدجيتين ورد في الرسالة (ص : 57) .

قيل فيها : أولها جنون ، ووسطها فنون ، وآخرها سكون . وقد يكتسب الحال بنوع ، كحضور حلبي الذكر واستعمال السماع . وقد يطلب / 14 / اكتسابه بحرق عوائد النفس حين يعتربها برودة وقتور [وفرق (1)] وحزن (2) وكسل ، فينبغي أن يتحرك في نسخيتها بما يثقل عليها من حرق العوائد ، وقد يطلق الحال على المقام فيقال : فلان صار عنده الشهود مثلا حالا .

ومنه قول المجذوب :

حَقَّقْتُ مَا وَجَدْتُ غَيْرَهُ وَأَمْسَيْتُ فِي الْحَالِ هَانِ

51- وأما المقام : فهو ما يتحققه (3) العبد بمنازلة واجتهاد من الادب (4) ، وما يتمكن فيه من مقامات اليقين بتكسب وتطلب . فمقام كل أحد موضع إقامته . فالمقامات تكون أولا أحوالا حيث لم يتمكن المرید منها ؛ لأنها تتحول ثم تصير مقامات بعد التمكن كالتوبة مثلا تحصل ثم تنفص حتى تصير مقاما وهي التوبة النصوح . وهكذا بقية المقامات وشرطه ألا يرتقي مقاما حتى يستوفي أحكامه . فمن لا توبة له ، لا تصح له إنابة ، ومن لا إنابة له ، لا تصح له استقامة . ومن لا ورع له لا يصح له زهد ، وهكذا . وقد يتحقق المقام الأول بالثاني إذا ترقى عنه قبل إحكامه . إن كان له شيخ كامل ، وقد يطوي عنه المقامات ويدسه إلى الفناء إن رآه أهلا بتوقد قسريته ورفقة فطنته . فالأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، هذا معنى المقام بفتح الميم . وأما [المقام] (5) بالضم فعناه : الإقامة ولا يكمل لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الحق تعالى فيه .

وفي الحكم : من علامة النجاح في النهاية (6) الرجوع إلى الله في البداية (7) .

(1) ما بين المعرفتين زيادة من : ب . (2) سقط من : ب .

(3) في الرسالة القشيرية : يتحقق به . (ص . 56) .

(4) راجع هذا التعريف في الرسالة القشيرية (ص . 56) .

(5) ما بين المعرفتين سقط من ١٠ . الزيادة من : ب .

(6) في ب : النهايات . (7) في ب : البدايات .

وقال أيضاً : « من كانت بالله بداينه كانت إليه نهاينه » (1).

القبض والبسط (2) : وهما حالتان بعد السُرقي من حال الخوف والرجاء . فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للطالب ، والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للسريد .

والفرق بين الخوف والقبض - وبين الرجاء والبسط ، أن الخوف متعلقه مستقبل : إما فوات محبوب ، أو هجوم محذور . بخلاف القبض فإنه معنى يحصل في القلب : إما بسبب أولاً ، وكذلك الرجاء يكون لانظار محبوب في المستقبل ، والبسط شيء موهوب يحصل في الوقت . فحقيقة القبض انكماش وضيق يحصل في القلب ، يوجب السكون والهدوء . والبسط انطلاق وانسراح للقلب ، يوجب التحرك والانبساط ، ولكل واحد آداب مذكورة في المَطُولَات (3).

54 - 55 - الخواطر والواردات : الخواطر : خطابات تَدُّ على القلوب (4) تكون بإلقاء ملك أو شيطان أو حديث نفس ، فإذا كان من الملك فيلهام ، أو من الشيطان فوسواس ، أو من النفس فهو اجس ، فما وافق الحق ودعا إلى اتباعه فمن الملك ، وما وافق الباطل أو دعا إلى معصية غالباً فمن الشيطان . وقد يدعو إلى الطاعة حيث يترتب عنها (5) معصية ، كالرياء وحب المدح ، وما دعا إلى اتباع الشهوة والدعة (6) أي الراحة فمن 15 / النفس (7).

قال أبو علي الدقاق : « من أكل الحرام لم يُفرق بين (8) الإلهام والوسواس ، وكذلك من كان قوته معلوماً » ا . ه .

(1) الحكم العمالية لابن عطاء الله السكندري (ص : 153) .

(2) قال تعالى : «والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون» [البقرة آية : 245] .

(3) راجع هذا التعريف في الرسالة القشيرية (ص : 58) .

(4) في الرسالة : الضمان (ص : 83) .

(5) في ب : عليها (6) في ب : الردعة .

(7) انظر تعريف الخواطر في الرسالة (ص : 83 ، 84) .

(8) الوارد عند أبي علي الدقاق : « من كان قوته معلوماً لم يفرق بين الإلهام والوسوسة ، وإن من سكنت عنه هو اجس نفسه بصدق مجاهدته نطق بيان قلبه بحكم مكابته » . الرسالة (ص : 84) .

وفرق الجتيد بين هواجس النفس ووسواس الشيطان، بأن ما دعت إليه النفس لا تنتقل عنه بل تعاود مرةً بعد مرةً، إلا بعد مجاهدة كثيرة، ووسواس الشيطان ينتقل عنها. فإذا خالفته في معصية انتقل لآخرى، وربما ذهب بالنعوذ ونحوه؛ ولذلك كانت النفس أحيث من سبعين شيطانا.

56- وأما الواردات: فهو ما يرد على القلوب من التجليات القوية، والخواطر المحمودة بما لا يكون للعبد فيه تكسب، والفرق بين الخواطر والواردات، أن الواردات أعم من الخواطر؛ لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو ما يتضمن معناه، والواردات تكون وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض، ووارد بسط، ووارد شوق، ووارد خوف، إلى غير ذلك من المعاني⁽¹⁾. وقد يخستلنه عن شاهد حسبه وهو قريب من الحال، وقد يأتي الوارد بكشف غيب فيجب تصديقه إن صفا القلب من كدرات الخواطر والله تعالى أعلم.

النفس والروح والسر: النفس عند القوم عبارة عما يندم من أفعال العبد وأخلاقه. فالأول ما كان من كسب العبد كمعاصيه ومخالفته.

والثاني ما كان من جبلته⁽²⁾ وطبيعته، كالكبر والحسد والغضب، وسوء الخلق وقلة الاحتسال، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة، ينسب للنفس أدبا مع الحق، والروح عبارة عن محل التجليات الإلهية، وكشف الأنوار الملكوتية. والسر عبارة عن محل تجليات الأسرار الجبروتية، فالنفس للعوام، والروح للخواص. والسر لخواص الخواص⁽³⁾، والنفس لاهل عالم الملك، والروح لاهل عالم الملكوت، والسر لاهل عالم الجبروت، وسناتي حقائقها، وهل النفس والروح [والسر]⁽⁴⁾ متعددت في نفسها أو منحددة، وإنما تختلف التسمية باختلاف التصفية. قال بعضهم: «النفس⁽⁵⁾ لطيفة مودعة في هذا القالب هي

(1) انظر التعريف في الرسالة (حس: 85).

(2) جبلة: اختلفة والطبيعة. لسان العرب لابن منظور مادة: «جبل» (11 / 98).

(3) إسقاط الواو من: أ. الإثبات من: ت.

(4) ما بين المعرفتين سقط من: أ. الزيادة من: ب لإتمام السياق.

(5) في الرسالة: الروح.

محل الأخلاق المعلولة . كما أن الروح لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق المحسودة ، ومحلها واحد وهو الإنسان ، فالنفس والروح من الأجساد اللطيفة ، كالملائكة والشياطين وهما ساكنان في الإنسان ، فكما أن البصر محل الرؤية ، والأذن محل السمع ، والأنف محل الشم من ذات واحده فكذلك محل الأوصاف الذميمة النفس ، ومحل الأوصاف الحميدة الروح (1) .

وأما السر فهو لطيفة مودعة في القلب [كالروح] (2) إلا أنه أشرف من الروح لكمال أوصافه (3) .

وقال الساحلي : النفس والقلب والروح والسر والباطن أسماء لمسمى واحد ، وهو اللطيفة الربانية « / 1 / التي كان الإنسان بها إنساناً . وتختلف أسماؤها باختلاف أوصافها ، فإن مالت لجهة النفس سميت نفساً ، وإن تخلصت من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان سميت قلباً ، وإن تخلصت منه إلى مقام الإحسان . ولكن بقي فيها أثر النقص كأثر الجراحات بعد البرء . سميت روحاً ، وإن ذهبت تلك الأثر وضمت سميت سراً (4) ، وإن أشكل الأمر سميت بالباطن . ا . هـ . والاختلاف في الروح شهير . قال بعضهم : [هي الحياة] (5) ، وقال بعضهم : أعيان (6) مودعة في هذه القوالب أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت الحياة فيه ، فالإنسان حي (7) بالحياة ، ولكن الأرواح مودعة في القوالب (8) ولها ترق في حال النوم ، ومفارقة ورجوع (9) . [وهي التي وقع بها التفتيح ،

(1) انظر هنا التعريف في الرسالة (ص: 87) مع تصرف بسيط الرسالة .

(2) ما بين معقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(3) في أ : صفاته ، التصويب من : ب .

(4) في أ : بالسر ، والصواب ما أثبتناه من : ب .

(5) ما بين المعقوفتين سقط من : ب ، وثابت في أ ، وفي الرسالة « إنها الحياة » (ص: 88) .

(6) في ب : [هي أعيان] ، وفي الرسالة : [إنها أعيان] (ص: 88) .

(7) في أ وب : حق . التصويب من الرسالة (ص: 88) .

(8) في الرسالة : القالب .

(9) انظر التعريف في الرسالة (ص: 88) .

وأما النفس فهي مخلوقة في الجنين قبل نفخ الروح بها بقع التحرك ، وهي ملازمة للبدن لا تفارقه إلا بالموت ، فتخرج الروح أولاً ثم تنقطع النفس ، فتقطع الحياة⁽¹⁾ ، فالإنسان روح [ونفس]⁽²⁾ وجسد ، والحشر للجحمة ، وكذلك العقاب والثواب والأرواح مخلوقة قبل الأبدان سارية فيها سربان النار في الفحم ، والماء في العود الأرطب . ا . ه .

قلت : هذه الأعيان المودعة في القوالب هي اللطيفة الربانية⁽³⁾ اللاهوتية ، وهي التي تتطور وتختلف أسماؤها باختلاف تطورها كما قال الساحلي والله أعلم . وكون الأرواح حادثة يجري على مذهب أهل الفرق ، وأما أهل الجمع فلا حادث عندهم لفناء الكائنات عن نظيرهم .

قال الجُنَيْدُ إِذَا أَقْرَبَ الْحَادِثَ بِالْقَدِيمِ ، تَلَأَسَى الْحَدِيثَ وَيُفِي الْقَدِيمِ . وسألت بعض إخواننا⁽⁴⁾ العارفين هل الأرواح حديثة أو قديمة ؟ فقال : الرجال الأشباح عندهم قديمة . ا . ه . يُشِيرُ إِلَى مَقَامِ الْفَنَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ لَكِنَّهُ سِرٌّ مَكْتُومٌ .

60 - 61 - 62 - النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ وَالْعِصْمَةُ :

النصر : تقوية الجوارح على فعل الخير .

والتأييد : تقوية البصيرة من داخل . فالباعث الباطني تأييد ، والبطش ومساعدة الأسباب⁽⁵⁾ من خارج نصر ، وهو جامع للهداية التي مرجعها للبصيرة العلية الكاشفة لما عليه الشيء بحقيقته ، والرشد الذي مرجعه إلى الإرادة الباعثة إلى جهة المساعدة والتسديد الذي مرجعه إلى القدرة على توجيه الحركات إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ، ويقرب من التأييد الجامع لما ذكر العصمة وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس ، قاله الغزالي .

(1) ما بين المعقوفتين سقط من أ . الزيادة من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من أ . الزيادة من : ب .

(3) ساقط من : ب .

(4) في ب . الإخوان . (5) ب . الأشباح .

فهذه سِتُّ حقائق : الهداية والرشد والعصمة والتسديد والنصر والتأييد .
وقد علمت كلها من كلام الغزالي رحمته . والتحقيق : أن الهداية هي : تصويب
العبد إلى طريق توصله إلى الحق ، وقد تطلق على بيانها فقط . والرشد هو :
"توجيه القلب إلى طريق السعادة" . والتسديد هو : القدرة على سلوك طريق
17 / الخير وتجنب الشر . والعصمة هو جود إلهي إلى آخر ما تقدم .

66 - الحِكْمَةُ (1) : وهي إتقان الشيء وإبداعه . ففي العلم : تحقيقه والعمل
به ، وفي القول : إيجازه وكثير معانيه ، وفي العمل : إتقانه وإكماله .
ويقال : نزلت الحكمة على ثلاث فرق على السنة العرب وإيدي الصين
وعقول اليونان والله تعالى أعلم .

67 - العَقْلُ : وهو نور يُسَيَّرُ به بين النافع والضار ، ويحجز صاحبه عن
ارتكاب الأوزار ، ونور روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية ، أو
قوة مهينة لقبول العلم سُمِّيَ عقلاً لأنه يعقل صاحبه عما لا ينبغي ، وهو على
قسمين : عقل أكبر ، وعقل أصغر . أما العقل الأكبر : فهو أول نور أظهره الله
للوجود ، ويقال له : الروح الأعظم ، ويسمى أيضاً بالقبضة المحمدية ، ومن
نوره يمدد العقل الأصغر كامتداد القمر من نور الشمس ، فلا يزال نوره بنمو
بالطاعة والرياضة والتطهير من الهوى ، حتى يدخل العبد مقام الإحسان وتشرق
عليه شمس العرفان فينطفي نوره في نور العقل الأكبر كأنطواء نور القمر عند
طلوع الشمس فيرى من الأسرار والغيوب ما لم يكن يره قبل . لان العقل الأصغر
نوره ضعيف لا يدرك إلا افتقار الصنعة إلى صناعتها ولا يدري ما وراء ذلك ،
بخلاف العقل الأكبر فإنه يدرك الصانع القديم قبل التجلي وبعده لصفاء نوره

(1) لقد أورد الإسماعيلي في معنى الحكمة قوله : والحكمة هي التي أئتى الله عز وجل
عليها فقال تعالى : * يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً * [البقرة
آية : 269] وقال منتقداً العامة : اسم الحكيم في غير موضعه اسم الحكيم صار يطلق
على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في
شوارع الطرق . الإحياء (1 / 41) كتاب العلم

وشدة شعاعه، وفي بعض الاخبار ، « أول ما خلق الله العقل فقال له : أقبّل . فأقبّل ، ثم قال له : أدبّر فأدبّر ، ثم قال : فوعزّي وجلالي لا أجعلك إلا فيمن أحببت من عبادي » أو كما قال عليه السلام ⁽¹⁾ . والحديث متكلم فيه فالعقل الأكبر لا يتأله إلا المحيئون الذين اختارهم الله لمعرفة الخاصة . وأما العقل الأصغر فيعطيه للخامس والعام وهو على قسمين : عقل موهوب ، وعقل مكسوب :

68 - فالموهوب : هو الذي جعله الله فيه غريزة .

69 - والمكسوب : هو الذي يُكسب بالتجارب والرياضات وارنكاب المحسن .

قال بعضهم ، وعلامة العقل ثلاثة : تقرى الله عز وجل . وصدق الحديث ، وترك ما لا يعني . ا . هـ .

وقال عليه السلام : « ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور » ⁽²⁾ . ا . هـ .

وقال بعض الحكماء : خير ما أعطي الإنسان عقل يزجره فإن لم يكن فحياء يمنع ، فإن لم يكن فمال يستره ، فإن لم يكن فصاعقة تحرقه ، تستريح منه البلاد والعباد . ا . هـ .

وهل الأرواح قبل الأشباح كان لها عقل أم لا ؟ . والتحقيق أنها كانت لها عقول ممتبسة من العقل الأكبر ، فلذلك أقرت بالربوبية . بل كانت علامة دراكمة للأشياء كما قال ابن البنا ⁽³⁾ : « والمعرفة والإدراك إنما يكونان بالعقل ، فلما

(1) حديث . « أول ما خلق الله العقل » . أورده السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة حديث (269) (ص: 163) ولم يتكلم عليه السخاوي رحمه الله .

(2) أخرجه الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ، وقال الحافظ العراقي في المغنى في تخرير أحاديث الإحياء : إن صدر هذا الحديث رواه الحاكم في المستدرک .

(3) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي ، المراكشي عرف بابن البنا كان أبوه محترفا بالبناء . قال فيه الإمام ابن رشيد . لم أر عالماً بالمغرب إلا رحلين . ابن البنا العددي المراكشي ، وابن الشاط بسببة أخذ الطب عن الحكيم ابن حجلة توفي سنة (721هـ) . ترجم له في: البدر الطالع (1/ 108 ، 109) ، نيل الابتهاج (ص: 90 - 83) ، النبوغ (ص: 213) .

برزت لعالم الأشباح أزال الله منها ذلك العقل الذي هو من / 18 / العقل الأكبر ، وأُنبتَ فيها العقل الأصغر عند اجتنان الولد في البطن : فما زال ينسو إلى الحلم ، وقيل : إلى أربعين سنة ، فإذا اتصل العبد بالطبيب عالجه حتى يوصله إلى العقل الأكبر ، فيكون صاحبه من الأولياء الكبار وبالله التوفيق .

- التوحيد (1) : وهو على قسمين :

70- توحيد البرهان : وهو إفراد الحق بالصفات والأفعال والذات من طريق

البرهان .

71- وتوحيد العيان : وهو إفراد الحق بالوجود في الأزل والأبد .

وقال الجنيد رحمته : هو معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ، ويكون الله كما لم يزل ، وأصوله خمسة أشياء : رفع الحدث ، وإفراد القدم ، وهجران الإخوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم وما جهل .

قلت : والمعنى الذي تضمحل فيه الرسوم هو ظهور أسرار الذات . فإذا وقع الكشف عنها بغيبة حس الكائنات التي هي أو ان لتلك المعاني انفرد الحق بالوجود ويكون فيما لم يزل كما كان في الأزل كان [الله] (2) ولا شيء معه ، وهو الآن كما كان ، فيرتفع الحدث وينفرد القدم ، ويهجر صاحب هذا الذوق جميع الإخوان إلا من يستعين به على ربه ويفارق الأوطان في طلب الحق ؛ لأن الهجرة سنة ، وينسى ما علم وما جهل . أي يغيب عنه في جنب الكنز الذي ظفر به . وسئل أيضاً رحمته عن التوحيد فقال : لون الماء لون إناته . ا . هـ .

ومعنى كلامه رحمته (3) أن الذات العلية كانت لطيفة خفية نورانية ، فلما تجلّت بالرسوم والأشكال تلونت بتلونها فافهم وسكّم إن لم تذكّر .

ومقامات التوحيد (4) غير متناهية لأنها تتزايد بتزايد الكشف والترقي . ففوق

(1) قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة آية - 163] .

(2) ما بين المعرفتين سقط من : أ . الزيادة من ب .

(3) صيغة الترضي سقطت من : أ .

(4) انظر مقامات التوحيد في الرسالة القشيرية (ص : 298 - 303) . وكتاب التعرف لمذهب

أهل التصوف (ص : 31 - 35) .

التوحيد التفريد ، فإنه أرقُّ من التوحيد وأعلى ؛ لأنَّ التوحيد يصدق على توحيد [أهل] (1) العلم (2) ، والتفريد خاص بأهل الذوق .

وفوق التفريد . الأَحَدِيَّةُ وَالْإِيْحَادُ وَالْفَرْدَانِيَّةُ وَالْوَحْدَانِيَّةُ وَالْأَنْفِرَادُ (3) : هكذا رَتَّبَهُمْ فِي الْقُوَّةِ (4) فَالْأَحَدِيَّةُ مَبَالِغَةٌ فِي الْوَحْدَةِ ، وَالْإِيْحَادُ مُصَدَّرٌ أَوْحَدَ الشَّيْءِ إِذَا صَارَ وَاحِدًا ، وَالْفَرْدَانِيَّةُ وَالْوَحْدَانِيَّةُ وَالْأَنْفِرَادُ مَعْنَاهَا إِفْرَادُ الْحَقِّ بِالْوُجُودِ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ انْتِطَبَاقِ بَحْرِ الْإِحْدِيَّةِ عَلَى الْكُلِّ ، بِحَيْثُ لَمْ يَبْنَ (5) وَجُودَ لِغَيْرِهِ قَطُّ ، حِينَ يَذُوقُ ذَلِكَ ذَوْقًا ، وَيَغْرُقُ غَرْقًا ، وَيُقَالُ لِأَهْلِ هَذَا الْمَقَامِ : الْإِنْفِرَادِ وَالْأَحَادِ ، وَهَمْ أَكْمَلُ مِنَ الْقَطْبِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ ، كَمَا قَالَ الْحَاشِمِيُّ (6) :
وَخَارِجُونَ عَنِ دَائِرَةِ تَصَرُّفِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

75- حَقِيقَةُ الذَّاتِ الْعَالِيَةِ : هِيَ ذَاتُ كَلِيَّةٍ أَرْزَلِيَّةٍ لَطِيفَةٍ خَفِيَّةٍ مُتَسَجِّلِيَّةٍ بِالرُّسُومِ وَالْأَشْكَالِ مُتَصَفَّةٍ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ ، وَاحِدَةٌ فِي الْأَرْزَلِ وَفِيهَا لَا يَزَالُ ، هَذَا رَسْمُهَا بِالْخَوَاصِ ، وَأَمَّا كُنْهُ الْحَقِيقَةِ فَلَا يَحِيطُ بِهَا إِلَّا هُوَ تَعَالَى . [وَقَوْلُهُ ذَاتُ كَلِيَّةٍ ، هُوَ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْفَنَاءِ الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ مَعَ اللَّهِ / 19 / شَيْئًا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَدُّ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرًا وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْتُوعٌ

فَالذَّاتُ الْعَلِيَّةُ هِيَ كَلِيَّةُ الْأَشْيَاءِ (7) وَعَيْنُ ذَاتِهَا كَمَا قَالَ الْجِيلَانِيُّ (8) عَيْنُهُ (9) فِي عَيْنَيْتِهِ :

هُوَ مُوَجِّدُ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ وَجُودُهَا وَعَيْنُ ذَوَاتِ الْكُلِّ وَهُوَ الْجَوَامِعُ

- (1) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ السَّخْنِ زَمَانٌ مِنَ الْمَطْبُوحِ لِيَتِمَّ بِهِ السِّاقُ .
- (2) فِي ب : الْعُلُومُ . (3) سَقَطَ مِنْ : ب .
- (4) فِي ب : الْقُرْتُ . (5) سَقَطَ مِنْ : ب .
- (6) هُوَ مُحِبِّي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيِّ الْفَقِيهِ الظَّاهِرِيِّ مِنْ أَعْمَالِ مَرِيَّةَ بَالْتَانْدَلِسَ لَوْ فِي سَنَةِ (638 هـ) بِفَرْطَبَةِ . تَرْجَمَ لَهُ فِي شُدْرَاتِ الذَّهَبِ (5 / 190) .
- (7) سَقَطَ مِنْ : ب .
- (8) هُوَ عَبْدِ الْقَسَادِرِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجِيلَانِيُّ أَيْ الْكَبْلَانِيُّ مُؤَسِّسُ الطَّرِيقَةِ الْفَائِدِيَّةِ .
- تَسْبِيحُ الزُّهَادِ تُوْفِي سَنَةَ (561 هـ) . تَرْجَمَ لَهُ فِي شُدْرَاتِ الذَّهَبِ (1484) ،
- «الطَّبَبَاتُ الْكَبِيرَى لِلدُّمَعْرَانِيِّ (1 / 126 - 132) رَقْمُ (248) .
- (9) صِبْغَةُ التَّرْضِيِّ سَقَطَتْ مِنْ : أ .

ولا يفهم هذا إلا أهل الفناء من أهل الأذواق، وهذا هو التوحيد الخاص أعني (1) انفراد الحق بالوجود كما تقدم [(2)] .

76 - العما : [معناه السحاب] (3) هو عبارة عن صفات الذات العلية في الأزل (4) قبل التجلي ، وحقيقته فضاء لطيف خفي صاف لا يدرك لاحد لفوقيته ولا لتحتيته ، ولا لجوانبه الأربع ، ولا نهاية لأوليته ولا لأخريته ، خال عن الرسوم والأشكال ، متصف بأوصاف الكمال من القدرة والإرادة والسعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، ويجمعه قول ابن الفارض (5) في خمريته :

يقولون لي صفها فانت بوصفها خبير أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها قديم ولا شكل هناك ولا رسم

ثم تجلت بالرسوم والأشكال بحيث صار اللطيف كثيفا والخفي ظاهرا . والغيب شهادة ، فما كان في الأزل هو عين ما تجلى به في الأبد كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان . وفي حديث الترمذى عن أبي رزين العقبلي قلت : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في عمى ما فوقه هواء ، وما تحته هواء » . ا . هـ .

أي كان في خفاء ولطافة ، ليس فوقه هواء ، ولا تحته هواء ، بل عظمة ذاتة احاطت بكل فوق ، وبكل تحت ، وبكل هواء .

وفيل لسيدنا علي كرم الله وجهه : يا بن عم رسول الله ، أين كان ربنا ؟ أر هل له مكان ؟ فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال : فولكم : أين الله ؟ سؤال عن

(1) في ب : يعني .

(2) ما بين المعرفتين سقظ من : المطبوع .

(3) ما بين المعرفتين سقظ من النسختين الزيادة من : المطبوع

(4) سقظ من : ب .

(5) هو أبو حفص عمر السعدي المعروف بابن الفارض توفي سنة (632 هـ) ترجم له في شذرات الذهب (ص 149 / 5) ، جامع الكرامات العلية : للكوهن (ص 69 - 75) .

مكان ، وكان الله ولا مكان ، ثم خلق الزمان والمكان ، وهو الآن كما كان دبر زمان ولا مكان ا . هـ .

أي كان الله (1) ولا شيء معه ، وهو الآن لا شيء معه ، فأفهم .

77 _ 78 - الغناء والبقاء : إذا أطلق الغناء إنما ينصرف للغناء في الذات . وحقيقته : محور الرسوم والأشكال بشهود [حقيقة الغناء في] (2) الكبير المتعال ، أو استهلاك الحس في ظهور المعنى .

وقال أبو المواهب : [حقيقة الغناء] (3) محو واضمحلال وذهاب عنك وزوال . وقال أبو سعيد بن الأعرابي : « هو أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتتسبه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات ، والمقامات والأذكار ، يفنيه عن كل شيء ، وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء ، وعن فنائه عن الغناء لأنه يغرق في التعظيم . ا هـ . أي تتجلى له عظمة الذات فتغيبه عن رؤية الأشياء ومن جعلتها نفسه ، فتصير عين العين ، ويغرق / 20 / في بحر الأحديّة ، وقد يطلق الغناء على الغناء في الأفعال ، فلا يرى فاعلاً إلا الله ، وعلى الغناء في الصفات فلا قادر ولا سميع ولا بصير إلا الله يعني أنه يرى الخلق موتى لا قدرة لهم ولا سمع ولا بصر إلا بالله . وبعد هذا يقع الغناء في الذات ، وفي ذلك يقول الشاعر :

فَيْفَنِي ، ثُمَّ تَفَنَى ثُمَّ يَفَنَى فَكَانَ فَنَاؤُهُ عَيْنَ الْبَقَاءِ (4)

وأما البقاء : فهو الرجوع لشهود (5) الأثر بعد الغيبة عنه ، أو شهود الحس بعد الغيبة عنه بشهود المعنى ، لكنه يراه قائماً بالله ، ونوراً من أنوار تجلياته ، إذ لولا الحس ما ظهرت المعنى ، ولولا الوساطة ما عرف المتوسط . فالحق سبحانه (6)

(1) اسم الجلالة لم يرد في أ . الزيادة من . ب .

(2) ما بين المعقوفين سقط من : أ . زيات في . ب . الزيادة منها .

(3) ما بين المعقوفين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(4) البيت كما ورد في الرسالة على الشكل التالي :

فأفناؤنا ثم أفناؤنا ثم أفناؤنا وأبقوا بالبقاء من قرب ربه

(5) في ب : إلى شهود .

(6) في ب : تعالى .

تجلى بين الضدين ، بين الحسِّ والمعنى ، وبين القدرة والحكمة وبين الفرق والجمع ، فالغيبية عن أحد الضدين فناء ورؤيتهما (1) معا بقاء ، فالبقاء اتساع في الفناء بحيث لا يحججه جسده عن فرقه ، ولا فناؤه عن بقاءه ، ولا شهود القدرة عن الحكمة ، بل يُعطى كُلُّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ ، ويوفى كلُّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ ، وقد يطلق الفناء على التخلي والتحلِّي فيقال : فَنَّا عَنْ أَوْصَافِهِ الْمَذْمُومَةِ ، وبقي بالأوصاف المحموده (2) والله تعالى أعلم .

القدرة والحكمة :

79- القدرة : عبارة عن إظهار الأشياء على وفق الإرادة .

80- والحكمة : عبارة عن تسرُّها بوجود الأسباب والعلل . فالقدرة تَبَرُّزُ ، والحكمة تسترُّ والقدرة لا تنفك عن الحكمة إلا نادراً في معجزة أو كرامة أو شعوذة ، وقد تطلق القدرة على الذات بعد تجليها من إطلاق الصفة على الموصوف ، والحكمة ما يسترها من الحسِّ وأوصاف البشرية وأحكام العبودية ، فظهوره تعالى بمقتضى اسمه الظاهر يسمى قدرة ، وبطونه في ظهوره ، بمقتضى اسمه الباطن يسمى حكمة ، فتجليه تعالى من عالم الغيب إلى عالم الشهادة قُدْرَةٌ ، وخفائه في ظهوره حكمة ، وإليه يشير قول الحكيم : « سبحان من ستر سرَّ الخصوصية بظهور البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية » (3) . 1 هـ .

81 _ 82- الفَرْقُ والْجَمْعُ ، الفرق : عبارة عن شهود حسن الكائنات ، والقيام بأحكامه وآدابه من العبادة والعبودية .

والجمع : عبارة عن شهود المعنى القائم بالأشياء متصلاً بالبحر المحيط الجبروتي .

أو نقول : الفرق شهود القوالب ، والجمع شهود المظاهر . فالقوالب محل الشرائع والمظاهر عين الحقائق .

(1) ذي ب . وملاحظتهما .

(2) في أ . المذمومة ، والتصويب من : ب وهو الثابت .

(3) الحكيم لابن عطاء الله السكندري (ص 124) رقم (108) .

وقال أبو علي الدقاق : « الفرق ما نُسِبَ إليك والجمع ما سُلِبَ عنك » (1) . ا. هـ .

فالفرق بلا جمع فسوق وجمودٌ وجهل بالله تعالى ، والجمع بلا فرقٌ زندقةٌ وكُفْرٌ إن لم يكن سكرٌ ؛ لأنه يؤدي إلى إبطال الشرائع التي جاءت بها الرسل عليهم السلام ، وإلى إبطال الحكمة والقدرة ، لا تنفك عن الحكمة ، فالواجب أن يكون العبد مجموعاً في فرقهِ معروفاً في جمعه / 21 / الجمع في الباطن موجود ، والفرق على الظاهر مشهود .

الحسُّ والمعنى :

83- الحسُّ : « عبارة عن تكثيف الأشياء ظاهراً » .

84- والمعنى : « عبارة عن تلطيفها باطناً » فحس الكائنات آوان حاملة للمعاني . قال الششتري (2) رحمته : « لا تنظر إلى الاواني ، وخصُص بحر المعاني لعلك تراني » .

فمثال الكون كالثلجة ، ظاهرها ثلج وباطنها ماء .

كذلك الكون ظاهره حسٌ وباطنه معنى ، والمعنى : هي أسرار الذات اللطيفة القائمة بالأشياء ، فقد سرَّت المعاني في الاواني سريان الماء في الثلجة .

وفي ذلك يقول قطب الاقطاب الشيخ الجيلاني رحمته :

وما الكونُ في التمثالِ إلا كثلجةٍ وأنت لها الماء الذي هو نابعُ
فما الثلجُ في تحقيقنا غيرُ مائه وعَتران في حُكم دعتهُ الشرائعُ

فلا قياس للحس إلا بالمعنى ، ولا ظهور للمعنى إلا بالحس . فالمعنى رقيقة لطيفة ، لا تدرك إلا بتحسسها في قوالب الكائنات ، فظهور المعنى بلا حس

(1) ورد هذا التعريف في الرسالة المشيرة (ص 64) .

(2) هو أير الحسن علي بن عبد الله الششتري الأندلسي المغربي السانلي كان أبوه أميراً توفي سنة (668 هـ) ترجم له في: عوان الدراية (ص: 239 - 242) . بل الابتهاج (ص: 321 - 323) رقم (409) ، جامع الكرامات العلية للكوهن (ص: 63 - 65) .

مُحَالٌّ ، وشهود الحسِّ بلا معنى جهل وظلمة . ولذلك قال في الحكَم : « الْكُؤْنُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ وَإِنَّمَا أَنَارَةٌ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ » (1) . . الخ . « فلا يرى الحقُّ تعالى إلا بواسطة التجليات في هذه الدار وفي تلك الدار . وفي ذلك يقول بعضهم :
وليست تُنالُ الذَّاتُ من غير مَظْهَرٍ ولو هُتِكَ الْإِنْسَانُ من شِدَّةِ الْحِرْصِ
الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْجِبْرُوتِ :

85- الْمُلْكُ : ما ظهر من حِسِّ الكائنات .

86- وَالْمَلَكُوتُ : ما بَطَّنَ فيها من أسرار المعاني .

87- وَالْجِبْرُوتُ : البحر المحيط الذي تدفَّقَ عنه الحسُّ والمعنى .

والحاصلُ أن القبضة التي ظهرت أولاً من فضاء العَمَاءِ حِسُّهَا الظاهر مُلْكٌ ، ومعناها الباطن ملكوتٌ ، والبحرُ اللطيف (2) المحيط الذي تدفقت منه جبروتٌ . فأسرار المعاني رياضُ العارفين لأنها محلُّ نزوة أرواحهم . ولا شك أن المعاني لطيفة ، لا تظهر بهجتها إلا في الحس الذي هو المُلْكُ . والحسُّ من حيث هو مضاف إلى نبيينا عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه ما ظهر إلا له ، وما انشقت أسرار الذَّاتِ إلا من نوره ، فلذلك قال القطب ابن (3) مشيش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «فَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ» (4) بزهرِ جَمَالِهِ مُؤَنِقَةٌ أَي مُحَسَّنَةٌ مُعْجَبَةٌ ، فقد ذكر المُلْكُ بالالتزام ؛ لأن [جمال] (5) زهر المعاني ، لا يظهر إلا في حِسِّ الكائنات وهو المُلْكُ .

(1) الحِكْم العطاوية (ص: 106) رقم (14) . وتسمه : « فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أمر عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار ، وحُجِّبَتْ عنه شمسُ المعارف سُحْبِ الأثار » .

(2) سقط من : ب .

(3) هو عبد السلام بن مشيش قطب دائرة المحققين أستاذ أهل المشرق والمغرب له كرامات يخوارق توفي سنة (622 هـ) وقبره بجبل العلم إقليم شفشاون . ترجم له في جامع كرامات الأولياء (2/ 167- 168) ، جامع الكرامات العلية للكوهن (ص: 59- 60) .

(4) ما بين المعقوفين سقط من: أ . الزيادة من : ب .

(5) ما بين المعقوفين سقط من: أ . الزيادة من : ب .

وقوله : وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، الاصل أن يقول : وبحر الجبروت يفيض نوره متدفق يشير إلى ظهور القبضة المحمدية من بحر نوره اللطيف ، وإنما عبر بالحياض ليناسب الرياض . وإنما جمع نير القبضة لتمرعه إلى أنوار كثيرة ، كما جمع العالمين ، مع أن العالم واحد لتعدد أنواعه ، والله تعالى أعلم .

فحقيقة الملك : ما يدرك بالحس والوهم .

وحقيقة الملكوت : ما يدرك بالعلم والدق .

وحقيقة / 22 / الجبروت : ما يدرك بالكشف والوجدان . فالوجود واحد ، وإنما تختلف التسمية (1) باعتبار الرؤية والترقية . فمن وقف مع حس الكائنات وحجب بها عن المعنى ، سمي في حقه ملكاً ، ومن نفذ إلى شهود المعاني ، سمي في حقه ملكوتاً . ومن نظر إلى أصل القبضة التي برزت منه سماة جبروتنا ، فإن ضم الفروع إلى الأصول (2) أو تلطفت الاواني حتى صارت كلها معان ، وانطبق بحر الأودية على الكل ، صار الجميع جبروتاً ، فكل مقام يحجب عما قبله ، فالملكوت يحجب عن شهود الملك . والجبروت [يحجب] (3) عن الملكوت إلا بالتزّل في حال السلوك والله تعالى أعلم .

الناسوت والأهوت والرحموت :

88 - الناسوت : عبارة عن حس الاواني .

89 - واللاهوت : عبارة عن أسرار المعاني . ومرجع الاول للملك ، والثاني

للملكوت .

90 - والرحموت : عبارة عن سرّيات اللطف والرحمة في جميع الاشياء ،

جلالها وجمالها ، من ظن انفكاك لطف الله عن قدره فذلك لقصور نظره .

التواجد والوجد ، والوجدان ، والوجود :

91 - التواجد : تكلف الوجد واستعماله كاستعمال الرقص والشطح والقيام

(1) في ب : السببه . (2) في ا : اصلها .

(3) ما بين المعفرتين سقط من . ا . الزيادة من : ب .

وغير ذلك وهو غير مُسَلَّم ، إلا للفقراء المنسجدين فلا بأس ، فتكلف الوجد واستعماله كما يُطلَبُ الحال دواءً للنفوس وهو مقام الضعفاء ، وقد تستعمله الأقوياء مساعفةً أو حلاوة . قيل لأبي محمد الجريدي : ما حالك في السماع ؟ فقال : « إذا حضر هناك مُحْتَشِمٌ أَمْسَكْتُ وَجْدِي ، وإذا خلوت أرسلت وَجْدِي . فتَوَاجَدْتُ » (1) . وأما الجنيد فكان أولاً يتواجد ثم سكن فقبل له : يا سيدي أما لك في السماع شيء ؟ فقال : « ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب » (2) .

قلت : وفد حضرت سماعا مع شيخنا البوزيدي (4) رحمه الله عنه ، فكان يتسائل يمينا وشمالا ، وحدثني من حضر سماعا مع شيخه مولاي العربي الدرقاوي (4) فقال : ما زال قائما يرفص حتى [كمل] (5) السماع ولا ينكر السماع إلا جاحداً جاهل ضال عن أسرار الحقيقة .

92- وأما الوجد : فهو الذي يرد على القلب ويصادفه بلا تأمل ولا تكلف ، إما شوق مُقَلِّقٌ أو خوف مُزْعِجٌ . وهو بعد التواجد ، ويقال : التواجد ثمرة (6) المنازلة في أسرار الحقائق ، كما أن حلاوة الطاعات ثمرات المنازلة في الطاعة

(1) انظر قول الجريدي في الرسالة القشيرية (مر - 62) .

(2) سورة النمل آية (88) .

(3) هو محمد بن أحمد البوزيدي الغماري الحسني كان صوفيا من أكبر تلامذة الشيخ العربي الدرقاوي ، له تاليف في علم التصوف وطريق التقيم على طريقة الإملاء . لأنه كان أميا لا يحسن الكتابة ، توفي سنة (1229 هـ) . ترجم له في : إتحاف المطالع (1 / 112) ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى (2 / 408 - 409) رقم (1859) .

(4) هو أبو حامد العربي بن أحمد بن الحسين الدرقاوي الحسني المتصوفي سنة (1239 هـ / 1823 م) له زوايا في حل مدن المغرب دفن ببيربوح من قبيلة بني زروال . ترجم له في إتحاف المطالع (1 / 133) ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى (1 / 224) رقم (883) .

(5) ما بين المعرفتين سقط من : 1 ، الزيادة من : ب .

(6) في ب / نمرات .

الظاهرة ، فكلما أشدَّ التحقق بأسرار الحقائق والتوحيد قَوِيَ الوُجْدُ ، كما أنه كلما أشدَّ الدَّوامُ على الطَّاعة (1) قويت حلاوتُها .

93- وأما الوُجْدان : فهو دوام حلاوة الشهود واتصالها مع غلبة الشكر والدهش . فإن استمرَّ مع ذلك حتى زالت الدهشة والخيرة ، وصفت الفكرة والنظرة فهو الوجود وإليه يشير قول الجنيد رحمته الله / 23 .

وَجُودِي أَنْ أُغَيَّبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ (2)

وقال أبو علي الدقاق رحمته الله :

التَّوَجُّدُ : « يُرْجَبُ اسْتِعَابُ الْعَبْدِ ، وَالْوُجْدُ يُوجِبُ .

94- استغراق العبد . والوجود : يوجب أستهلاك العبد . فهو كمن شهد البحر ثم ركب ثم غرق » (3) . ا . هـ .

قال القشيري : « وترتيب هذا الأمر قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود » (4) . ا . هـ .

فالقصود لمتواجدين القاصدين ، الوُجْدُ والورْدُ للواجدين الشاربين الخمرة ، والشهود لأهل الوُجْدانِ السُّكَّارِي ، والوجودُ والخمودُ لأهل الصَّحْوِ والله تعالى أعلم .

95 - 96 - 97 - 98 - الذُّوقُ ، وَالشُّرْبُ وَالسُّكْرُ ، وَالصَّحْوُ : الذُّوقُ : يكون

بعد العلم بالحقيقة ، وهو عبارة عن بروق أنوار الذات القديمة على العقل . فيغيبُ عن رؤية الحدوث في أنوار القِدَمِ ، لكنه لا يدوم ذلك ، بل يلعب تارة ويخفى أخرى فصاحبه يدخل ويخرج ، فإذا لمع غاب عن حسِّه ، وإذا خفي رجع

(1) في أ : الطاعات .

(2) انظر البيت في الرسالة القشيرية (ص : 63) .

(3) الرسالة القشيرية : (ص : 63) .

(4) الوارد عند القشيري في رسالته (ص : 63) : « وترتيب هذا الأمر قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود وبقدر الوجود يحصل الخمود » .

إلى حسنه وروية نفسه ، فهذا يُسمى عندهم ذرقاً، فإن دام له ذلك النور ساعة أو ساعتين فهو الشربُ. وإن اتصل ودام فهو السكرُ، ومرجعه إلى فناء الرسوم في شهود الحي القيوم والغيبة عن الأثر في شهود المؤثر ، ويسمى أيضاً الفناء ، فإن رجع إلى شهود الأثر وقيامها بالله وأنها نور من انوار الله ، فهو الصحو ، ويسمى أيضاً بالرّي وبالبقاء لإبقاء الأشياء بالله بعد فئانها ، ويسمى أيضاً فناء الفناء لأنه عليم أنه لم يكن ثم شيء يفنيه غير الوهم والجهل وهما لا حقيقة لهما .

قال القشيري : * واعلم أن الصحو على قدر السكر ، فكل من كان سكرة بحق ، كان صحوة بحق ، ومن كان سكرة بحظ مشوباً كان صحوة بحظ مصحوباً، ومن كان محققاً في حاله كان محفوظاً في سكره * (1) .

ثم قال : فمن قوى حبه تسرمد شربه والله درُّ القائل :

شربتُ الحُبَّ كأساً بعد كأسٍ فما نغد الشرابُ ولا رويتُ

المَحْوُ والإثباتُ :

99- المَحْوُ: الغيبة عن الكائنات فناء .

100- والإثبات : إثباتها بقاءً .

ويطلق على محو الأوصاف الذميمة . وإثبات الأوصاف الحميدة ، وهي ثلاث مراتب (2) : محو الزلة عن الظواهر ، ومحو الغفلة عن الضمائر ، ومحو العلة عن السرائر .

ففي محو الزلة إثبات التوبة (3) ، وفي محو الغفلة إثبات اليقظة (4) ، وفي محو العلة إثبات الصفا (5) .

(1) انظر الرسالة القشيرية : (ص : 72) .

(2) سقط من : ب .

(3) في الرسالة القشيرية : المعاملات .

(4) في الرسالة : المنازلات .

(5) في الرسالة : المواصلات . انظر . (73) .

101 - 10 - السُّنْرُ والتَّجَلِّي : السُّنْرُ عندهم عبارة عن غيبة العبد عن ربه ترويحاً وتنزلاً أو شغلاً بشأن من شؤون النفس ، والتَّجَلِّي عبارة عن كشف العبد بعظمة ربه وهذا قبل الرُّسُوح . وأما بعد الرُّسُوح فلا غيبة له .

فالعَوَامُّ في غطاء السُّنْر على الدوام ، والخواص بين كشف وغطاء ، وخواص الخواص في دوام / 24 / التجلي ، فالستر للعوام عقوبة ، وللخواص رحمة ، إذ لو لا أنهم (1) يستر عنهم في بعض الأحيان لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ، ولكنه كما يظهر لهم يستر عنهم . « فالخواص بين عيش وطيش إذا تجلى لهم طاشوا ، وإذا ستر عنهم ردوا إليهم فعاشوا » (2) .

المُحَاضِرَةُ والمُكَاشِفَةُ والمُسَامِرَةُ (3) :

103 - المُحَاضِرَةُ : حضور القلب مع الرَّبِّ ويكون من وراء حجاب ، إما بتواتر البرهان ، أو بفكرة الاعتبار ، أو باستيلاء سلطان الذِّكْرِ على القلب ، ثم بعده :

104 - المُكَاشِفَةُ : وهو حضور القلب مع الرب بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل ، وتطلب السبيل . ويكون أيضاً مع الحجاب بنعت القُرْبِ في مقام المراقبة وهو للعباد والزهاد ونهاية الأسرار ، وأما مكاشفة ضمائر الناس فليست بمقصودة عندهم قد يعطاها من لم يبلغ لهذا المقام وبعد المحاضرة والمكاشفة :

105 - المُسَامِرَةُ : وهي ظهور أسرار الذات ، فيغيب العبد عن وجوده ، ويغرف في بحار الأحدية ساعة [أو ساعتين ثم يرجع إلى شاهده وحسبه كمن يسمر في عومه تحت الماء ساعة أو أكثر ثم يخرج وهي من بداية الوجودان ولمعان أنوار المشاهدة (4)] ثم بعدها المشاهدة وهي دوام شهود الحق بلا تعب

(1) في أ : أنه . التصويب من : ب .

(2) الرسالة : (ص : 75) .

(3) في الرسالة : والمشاهدة : (ص : 75) .

(4) ما بين المعقوفتين سقط من : المطبوع .

أو وجود الحق بلا تهمة . وقال الجنيد رحمته : « المشاهدة وجود الحق مع فدانك » (1) . ا . هـ . وقد تقدم تفسيرها ، وإنما أعيدت هنا لترتيبها على ما قبلها قال : القشيري . « فصاحب المحاضرة مربوط بأبائه ، وصاحب المكاشفات مبسوط بصفاته ، وصاحب المشاهدة ملفى بذاته » (2) .

قلت : وصاحب المسامرة تارة بتارة ، ثم قال القشيري : « صاحب المحاضرة يهديه عقله ، وصاحب المكاشفة يذنيه علمه ، وصاحب المشاهدة (3) تمحوه معرفته » (4) وأجمع ما قيل في المشاهدة : أنه تولي أنوار التجلي على القلب من غير أن يتخلله سر وانقطاع ، كما لو قُدِّر اتصال البروق في الليلة الغلماء ، بأنها نصير في ضوء النهار ، وكذلك القلب إذا دام له دوام التجلي فلا ليل . وأنشدوا :

لَيْلِي بوجهك مشرق وظلامه فسي الناس سار
الناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار (5)

والسدف (6) بالسين : الظلمة كما في القاموس .

وقال النوري (7) : « إذا طلع الصباح استغني عن المصباح » (8) ا . هـ . وفول الشاعر ليلى بوجهك . . . إلخ . أي ليل وجودي مشرق بوجود ذاتك ، فقد ذهب ظلمة وجودي في نهار وجودك .

106 _ 107 _ 108 - اللوائح واللوامع والطوائع : وهي الفاظ منقاربة ؛ وهي

لأهل البدايات حين تبرق / 25 / عليهم أنوار الشهود ثم تستر فتكون أروا لوائح ، ثم لوامع ، ثم ضوائع .

(1, 2, 3) الرسالة : (ص: 75) .

(4) قال النوري : « لا يصح للعبد المشاهدة ما دام حيا » الرسالة (ص: 76) .

(5) الرسالة : (ص: 76) .

(6) القاموس المحيط مادة « سدف » (ص : 737) دار الفكر لبنان (1995) .

(7) في أ : النوادر . والصواب ما أثبتناه من : ب ، والرسالة والمطبوع . واسمه أحمد

النوري ت سنة (295 هـ - 908 م) ترجم له في الرسالة (ص438 - 439) ، طبقات الصوفية (ص135 - 139) .

(8) الرسالة : (ص: 76) .

فَاللَّوَامِعُ أَظْهَرَ مِنَ اللُّوَانِحِ ، وَالطَّوَالِعُ أَظْهَرُ مِنَ اللُّوَامِعِ ، فَقَدْ تَبَيَّنَ اللَّوَامِعُ سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، بِخِلَافِ اللُّوَانِحِ فَإِنَّهَا أَخْفَتْ لِرِوَالِهَا بِسُرْعَةٍ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

افْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا (1) كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا (2)

وقال آخر :

يَا ذَا السِّدِّي زَارَ وَمَا زَارًا كَأَنَّهُ مُقْتَبَسٌ نَارًا
مَرَّ بِبَابِ السِّدَارِ مُسْتَعْجِلًا مَا ضَرَّهُ لَوْ دَخَلَ السِّدَارُ (3)

وَأَمَّا الطَّوَالِعُ : فَإِنَّهَا أَبْقَى وَقْتًا ، وَأَقْوَى سُلْطَانًا ، وَاذْهَبَ لِلظُّلْمَةِ وَأَنْفَى لِلتَّهْمَةِ لَكِنَّهَا عَلَى خَطَرِ الْأَقْوَالِ ، لَمْ يَتَسَكَّنْ صَاحِبُهَا مِنْ طُلُوعِ شَمْسِ عِرْفَانِهِ ، فَأَوَقَاتِ حَصُولِهَا رَشِيكَةَ الْأَرْتِحَالِ ، وَأَحْوَالِ أَقْوَالِهَا طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ (4) . لَكِنْ إِذَا غَرَبَتْ أَنْوَارُهَا بَقِيَتْ آثَارُهَا . فَصَاحِبُهَا إِذَا غَرِبَتْ أَنْوَارُهَا يَعِيشُ فِي بَرَكَاتِ آثَارِهَا إِلَى أَنْ نَعُودَ ثَانِيًا ، هَكَذَا حَتَّى تَطْلُعَ شَمْسُ نَهَارِهِ بِتَمَكُّنِهِ ، فَلَا مَغْيِبَ لَهَا حَيْثُذُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

طَلَعَتْ شَمْسٌ مِنْ أَحْسَبُ بَلِيلٍ وَاسْتَنَارَتْ فَمَا تَلَاهَا غُرُوبٌ
إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرِبُ بِاللَّيْلِ وَشَمْسُ الْقَلُوبِ لَيْسَ (5) لَهَا مَغْيِبٌ

109 - 110 - البواده والهجوم : البواده : « ما يفجأ القلب من ناحية الغيب على سبيل البغته ، إما موجب فرح أو ترح » (6) .
والهجوم : « ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع ولا تكسب » (7) .

(1) في الرسالة : الثقتينا .

(2, 3, 4) الرسالة . (ص 77) .

(5) في ب : ليست تغيب .

(6) في الرسالة . « ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهله ، إما بموجب فرح أو بموجب ترح » (ص 78) .

(7) في الرسالة : منك .

وبختلف أحوالهم على حسب ضعفهم وقوتهم فمنهم من تغيره البوادة ، وتصرف فيه الهواجم ، ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالا وقوة لا تغيره الهواجم ، ولا تصرف فيه البوادي ، ولا تزعجه الهموم ، ولا تحركه المخاوف ، أولئك سادات الوقت كما قيل :

لا تهتدي نوب الزمان إليهم ولهم على الخطب الجليل لجام⁽¹⁾

وهؤلاء هم أهل الرسوخ والتسكين جعلنا الله منهم آمين .

111 - 112 - التلويين والتسكين : التلويين : هو الانتقال من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام . وقد يسقط ويقوم ، فإذا وصل إلى صريح العرفان وتمكن من الشهود ، فصاحب تمكين ، فصاحب التلويين أبداً في الزيادة ، وصاحب التسكين وصل وتمكن . فانتهاه سيرهم الظفر بنفوسهم ، فإن ظفروا بها ، فقد وصلوا فانخسست أوصاف البشرية واستولى عليها سلطان الحقيقة ، فإن (2) دام ذلك للعبد فهو صاحب تمكين ، وقد يكون التلويين بعد التسكين ، ومعناه : النزول في المقامات كنزول الشمس في برجها (3) ، فيتلون العارف مع المقادير ، ويدور معها حيث دارت ، ويتلون بتلون الوقت ، فيكون بين قبض وبسط ، [ونوة] (4) وضعف ، ومنع وعطاء ، وسرور وحزن ، وغير ذلك من تقلبات الأحوال ، / 26 / غير أنه مالك غير مملوك ، لا يغير بتغير الأحوال ، ولا يتأثر بالزلازل والأهوال ، والله تعالى أعلم .

113 - 114 - القرب والبعد :

القرب⁽⁵⁾ : كناية عن قرب العبد من ربه بطاعته وتوفيقه وهو على ثلاثة

مراتب :

(1) الرسالة : (ص : 78) .

(2) في ب : فإذا .

(3) في ب . بروجها .

(4) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(5) لفظة قرب وردت في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق : آية

16] ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الواقعة : آية 85] .

قُرْبُ بِالطَّاعَاتِ وَتَرْكُ الْمَخَالَفَاتِ ، وَقُرْبٌ بِالرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ ، وَقُرْبٌ بِالْوُضُوءِ وَالْمَشَاهِدَاتِ (1) ، فَتَقْرَبُ الطَّالِبِينَ بِالطَّاعَاتِ (1) ، وَقُرْبُ الْمُرِيدِينَ بِالْمُجَاهَدَاتِ (1) وَقُرْبُ الْوَاصِلِينَ بِالْمَشَاهِدَاتِ (1) ، فَأَوْلُ الْبُعْدِ ، الْبُعْدُ عَنِ التَّوْفِيقِ ، ثُمَّ الْبُعْدُ عَنِ الطَّرِيقِ ، ثُمَّ الْبُعْدُ عَنِ التَّحْقِيقِ .

وفي الحديث القدسي عن الله عز وجل يقول : « مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَّقِرُونَ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصْرًا » (2) الحديث . وفي حديث آخر : « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ » فقرَّب العبد من ربه ، أَنْحِيَاشُهُ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ . وَقُرْبُ الْحَقِّ مِنْ عَبْدِهِ نَغْيِيهِ عَنْ وَجُودِهِ الْوَهْمِيِّ ، وَكَشْفُ الْحِجَابِ عَنْ عَيْنِ بَصِيرَتِهِ حَتَّى يَرَى الْحَقَّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ يَغِيْبُ الْقُرْبُ فِي الْقُرْبِ ، فَتَبْحِدُ الْقُرْبُ وَالْمُقَرَّبُ ، وَالْمَحْبُوبُ وَالْحَبِيبُ كَمَا قَالَ الْقَاتِلُ (3) : « أَنَا مِنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا » .

وكما قال الشُّسْتَرِيُّ : « أَنَا الْمَحْبُوبُ وَالْحَبِيبُ مَا ثُمَّ ثَانٌ » (4) .

الشَّرِيعَةُ وَالْحَقِيقَةُ وَالطَّرِيقَةُ :

115 - الشَّرِيعَةُ : تَكْلِيفُ الظُّوَاهِرِ .

116 - وَالْحَقِيقَةُ : شَهُودُ الْحَقِّ فِي تَجَلِيَّاتِ الْمَظَاهِرِ . فَالشَّرِيعَةُ أَنْ تَعْبُدَهُ وَالطَّرِيقَةُ أَنْ تَقْضُدَهُ ، وَالْحَقِيقَةُ أَنْ تَشْهَدَهُ ، فَلَمَّا تَجَلَّى الْحَقُّ بَيْنَ الْقُضْدِينَ فَتَجَلَّى بِمَظَاهِرِ (5) عِظَمَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ فِي فَوَالِبِ الْعِبَادِيَّةِ ، ظَهَرَتِ الشَّرِيعَةُ وَالْحَقِيقَةُ ، فَشَهُودُ الْعِظَمَةِ مِنْ

(1) وَرَدَتْ فِي بَابِ بَصِيغَةِ الْإِنْفِرَادِ (الْمَشَاهِدَةُ ، الطَّاعَةُ ، الْمُجَاهَدَةُ) .

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ . بَابُ السَّوَاعِ حَدِيثُ (6502) (ص: 1639) وَأَوَّلُ الْحَدِيثِ « إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ ... » الْحَدِيثُ .

(3) الْقَاتِلُ هُوَ : ذُو النُّونِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَصْرِيُّ أَبُو الْفَيْضِ . مَبْنِيُّ تَرْجُمَهُ .

(4) انظُرْ : كِتَابَ بُوْنِيَّةِ الشُّسْتَرِيِّ بِتَحْقِيقِ سَاهِي النَّشَارِ طَبْعَةُ سَنَةِ (1960) .

(5) فِي بَابِ : بِمَظْهَرِ .

حيث هي حقيقة ، والقيام بأداب القوالب عبادة وعبودية وشريعة وأما :

117 - الطريقة : فهي إصلاح الضمائر لتتهدأ لإشراق أنوار الحقائق عليها . فالشريعة لإصلاح الظواهر ، والطريقة لإصلاح الضمائر . والحقيقة لتزيين السرائر . ويقال : الشريعة عين الحقيقة من حيث أنها وجبت بأمره ، والحقيقة عين الشريعة من حيث أنها مكلف بها من قبل الشريعة ، وقد تطلق عندهم الشريعة على كل ما يتوصل به إلى شيء ، أو يكون سبباً في إدراكه ، فالأسباب كلها شرائع ، والمقاصد كلها حقائق ، فالحس شريعة المعنى إذ به قبضت ، والمجاهد شريعة المشاهدة ، والذل شريعة العز ، والفقر شريعة الغنا وهكذا ، والنحرث والغرس شريعة جني الثمار ، ولذلك يقولون : من غرس الشرائع ، أثمرت له الحقائق ، ومن غرس الحقائق ، أثمرت له الشرائع ، أي أحوجته (1) إلى الرجوع للشرائع ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ثَمَارَ مَا قَدْ غَرَسْتَ تَجْنِي وَهَذِهِ عَادَةُ الزَّمَانِ

118 - 119 - / 27 / الذات والصفات : اعلم أن الحق جل جلاله ذات وصفات في الأزل وفي الأبد أعني قبل التجلي وبعده ، إذ صفاته قديمة بقدم ذاته ، والصفة لا تفارق الموصوف ، فحيث تجلت الذات فالصفات لازمة لها كامنة فيها ، وحيث ظهرت الصفات فالذات لازمة لها ، فالذات ظاهرة والصفات باطنة ، والمراد بالصفات : صفات المعاني وسائر أوصاف الكمال ، فكل ما وقع به التجلي والظهور ، فهو بين ذات وصفات . الذات لا تفارق الصفات ، والصفات لا تفارق الذات ، وهذا التلازم الذي بينهما في الوجود هو الذي قصد من قال : الذات عين الصفات . أي مظهرهما واحد . كما قالوا : الحس عين المعنى حيث اتحد مظهرهما :

قال بعض المشارقة في بعض أزجاله :

يا وَاوَدَّ الْعَيْنِ إِنْ حَقَّقْتَ زَالَ الشُّكُّ الذَّاتُ عَيْنُ الصِّفَاتِ مَا فِي الْمَعْنَى شَكُّ

ولا يصدنك عن شهود الذات رداء الحس المنشور على وجه المعاني ، فإن هذا

الأسرار من (1) مدارك الأذواق والوجدان ، لا من طريق دليل العقل والبرهان والله
 در ابن الفارض حيث يقول :

فثم وراء العقل علم يدق عن مدارك غاية العقول السليمة

واعلم أن الذات لا تتجلى إلا في مظاهر أثر الصفات إذ لو تجلت بلا واسطة
 لاضمحلت المكنونات وتلاشت ولذلك يقولون : تجلي الذات جلالي ، وتجلي
 الصفات جمالي لأن تجلي الذات بلا واسطة يمحق ويحرق ، كما في الحديث .
 وتجلي الصفات يكون بالآثر ، فيكون معه الشهود والمعرفة فهو جمالي ، ثم
 توسعوا فاطلقوا على كل ما هو جلالي ذات ، وعلى كل ما هو جمالي صفات
 على سبيل التشبيه ، فقالوا : الفقر ذات ، والغنى صفات ، الذل ذات ، والعز
 صفات ، الصمت ذات ، والكلام صفات وهكذا (2) ، وهذا الاصطلاح ذكره
 شيخ شوخنا سيدي علي الجملي (3) العمراني رحمه الله في كتابه ولا أدري هل سبق به
 أم لا ؟ .

الأنوار والأسرار :

120 - الأنوار : عبارة عما ظهر من كتابات التجليات .

121 - والأسرار : عبارة عما بطن فيها من المعاني اللطيفة . فالأسرار أرق من
 الأنوار . فالأسرار للذات ، والأنوار للصفات لأنها أثارها ، فالذات بعد التجلي
 بين أنوار ظاهرة وأسرار باطنة . وأما في حال الكثرة فما كان الأسرار فالجبروت
 كله أسرار ، والملوك أنوار ، والملك أغيار وأكدار ، فالوجود واحد ، فمن نظر
 إلى باطنه لم ير إلا الأسرار ، ومن نظر إلى ظاهره بعين الجمع لم ير إلا الأنوار ،
 ومن نظر بعين الفرق لم ير إلا الأغيار . جمع غير بالسكون ، ومن شغله التوجه

(1, 2) سقطت من : ب .

(3) هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن العمراني الملقب بالجمال وهو شيخ سيدي العربي
 الدرقاري توفي سنة (1194 هـ) . ترجم له في : الروضة المقصودة (2 / 469 - 470) ،
 سلوة الأنفاس (1 / 358 - 360) طبقات الشاذلية الكبرى (ص 141) ، شجرة النور الزكية
 (1 / 515) بتعليقنا .

إلى الله بِتَشْبِيهِه وَأَهْوَالِهِ ، كان في حقه أَكْدَارٌ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ تَجَلِّيَّاتُ الْحَقِّ أَنْوَارًا عَلَى وَجْهِه / 28 / التَّشْبِيهِه ، لانَّ شَأْنَ النُّورِ أَنْ يَكْشِفَ الظُّلْمَةَ وَيُذْهِبَهَا وَكَذَلِكَ تَجَلِّي الْحَقِّ ، يَكْشِفُ عَنِ الظُّلْمَةِ النُّجُومَ وَيُظْهِرُ الْعِلْمَ بِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالُوا : « الْعِلْمُ نُورٌ وَالْجَهْلُ ظُلْمَةٌ عَلَى وَجْهِه الْأَسْتِعَارَةُ ». وَأَمَّا السَّرُّ فَهُوَ الْأَمْرُ الْخَفِيُّ الَّذِي لَا يَدْرُكُ ، فَلِذَلِكَ قَالُوا فِي حَقِّ الْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَالْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ : أَسْرَارًا ؛ وَسَمُّوا أَيْضًا الْأَرْوَاحَ بَعْدَ التَّصْفِيَةِ أَسْرَارًا ؛ لِأَنَّهَا لَمَّا تَصَفَّتْ رَجَعَتْ لِأَصْلِهَا ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ السَّرِّ الْجَبْرُوتِيِّ الْقَدِيمِ . فَإِذَا اسْتَوَلَّتْ عَلَى الْأَشْبَاحِ رَجَعَ الْجَمِيعُ قَدِيمًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَأَمَّا الضَّمَانُ وَالسَّرَائِرُ فَقِيلَ : مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ ، وَقِيلَ : السَّرَائِرُ أَرْقُ وَأَصْفَا ، كَمَا أَنَّ الرُّوحَ أَرْقُ مِنَ الْقَلْبِ ؛ لِأَنَّ الضَّمَانِ كُلِّ مَا خَفِيَ فِي الْبَاطِنِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا ، وَالسَّرَائِرُ مَا كَمُنَ فِيهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، عِبَارَةٌ عَمَّا كَمُنَ فِي الْبَاطِنِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ بِدَلِيلِ الْآيَةِ ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ (1) وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

122 - النَّفْسُ : بِالتَّحْرِيكِ (2) ، قَالَ الْقَشِيرِيُّ : « يَعْنُونَ بِهِ تَرْوِيحَ الْقُلُوبِ بِلَطَائِفِ الْغُيُوبِ ، فَصَاحِبُ الْأَنْفَاسِ أَرْفَعُ (3) مِنْ صَاحِبِ الْأَحْوَالِ وَمِنْ صَاحِبِ الْوَقْتِ ، فَكَانَ صَاحِبُ الْوَقْتِ مَبْتَدِئًا ، وَصَاحِبُ الْأَنْفَاسِ مَسْتَهَيِّبًا ، وَصَاحِبِ الْأَحْوَالِ بَيْنَهُمَا ، فَالْأَوْقَاتُ لِأَصْحَابِ الْقُلُوبِ ، وَالْأَحْوَالُ لِأَرْبَابِ الْأَرْوَاحِ ، وَالْأَنْفَاسُ لِأَهْلِ السَّرَائِرِ » (4) . انْتَهَى .

قُلْتُ : النَّفْسُ أَدَقُّ مِنَ الْوَقْتِ ، فَحَفِظَ الْأَوْقَاتَ مِنَ التَّضْيِيعِ لِلْعِبَادِ وَالزُّهَادِ ، وَحَفِظَ الْأَنْفَاسَ لِلْعَارِفِينَ الْوَأَصِيلِينَ ، وَاسْتَعْمَلَ الْأَحْوَالَ لِلْمُرِيدِينَ ، وَالْمُرَادُ بِحَفِظِ الْوَقْتِ : حُضُورَ الْقَلْبِ . وَبِحَفِظِ النَّفْسِ : حُضُورَ السَّرِّ (5) فِيهِ فِي مَشَاهِدَةِ الْحَقِّ ، يُقَالُ : [فَلَانَ طَابَتْ أَوْقَاتُهُ إِذَا وَجَدَ حَلَاوَةَ مَعَامَلَتِهِ بِحُضُورِ قَلْبِهِ] (6) ، وَفَلَانَ

(1) سورة الطارق آية (9) .

(2) في ب : بالفتح .

(3) في الرسالة : أرق (ص : 83) .

(5) في ب : الستر في .

(4) الرسالة القشيرية : (ص : 83) .

(6) ما بين المعقوفتين سقط من ب .

طابت أنفاسه . إذا صَفَا مَشْرَبُهُ من عين التَّوْحِيدِ من كَدْرَاتِ الأَغْيَارِ . فقوله في حَدِّ النَّفْسِ ترويح القلوب ، أي خروجها من تعب العسَّةِ ، ودوام المراقبة إلى راحة المشاهدة بما يبدو لها من لطائف أسرار التوحيد وفضاء الشهود . ثم قال : القشيري وقالوا : « أفضل العبادَةِ حِفْظُ الأَنْفَاسِ » (1) ، أي دوام الفكرة والنظرة كما قال الشاعر :

من أحسن المذاهب سَكْرٌ على الدوامِ وَأَكْمَلُ الرِّغَائِبِ وَصَلٌ بلا انصرامِ

قال أبو علي الدقاق : « العارف لا يَسْلَمُ له النَّفْسُ . أي تضييعه إذ لا مسامحة تجري معه ، والمحبُّ لا يَدُلُّه من النفس ، إذ لولا ذلك لتلاشى » (2) . لعدم طاقته . ا . هـ

فالعارف لما اتسعت عليه معرفته ، سهل عليه حفظ أنفاسه لسهولة حضوره وتيسر شهوده ، بخلاف المحبِّ فلضييق حاله لا يستطيع دوام حضوره في خدمته ، وعلى تقدير سهولتها عليه لفنائه فيها ، قد تختل بشريته ؛ ولذلك قال عليه السلام : « رَوِّحُوا قُلُوبَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ المَبَاحِ » (3) أو كما قال عليه السلام . وقال /29/ لحنظلة والصديق : « لو تدومون كما تكونون عندي لَصَافَحْتُمْ الملائكة ، ولكن ساعة بساعة » (4) .

123 - 124 - الفكرة والنظرة :

الفكرة : جولان القلب في تجليات الرب . وقال في الحكم : « هي سير القلب في ميادين الاغيار » (5) . وهذه فكرة الطالبين ، وفكرة السائرين ميسر القلب في ميادين

- (1) في الرسالة : « أفضل العبادات عدُّ الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى » (ص : 83) .
- (2) الرسالة : (ص : 83) . وهنا ينتهي كلام : « أبو علي الدقاق » .
- (3) الوارد في هذا حديث : « رَوِّحُوا القُلُوبَ سَاعَةً وَسَاعَةً » . انظر تخاريجيه في المقاصد الحسنة للسخاوي (ص: 275) رقم (530) .
- (4) أخرجه مسلم في حديث طويل من رواية حنظلة الاسيدي كتاب التوبة . باب فضل دوام الذكر والفكر في أسور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الاوقات والاشتغال بالدنيا حديث (2750) (ص: 1427) .
- (5) الحكم العطائية (ص : 150) رقم (262) .

الانوار ، وفكرة الواصلين سير الروح في مبادي الاسرار ، وترجع إلى فكرتين : فكر تصديق وإيمان وهي لاهل الاعتبار من عامة أهل البسمين ، وفكرة شهود وعيان وهو لاهل الاستبصار من نجباء المريدين ، وخاصة العارفين المتكئين وهي سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له ، وهي سبب الفناء الأكبر ، وبها يتحقق السير ويحصل الوصول ، فمن لا فكرة له ، لا سير له ، ومن لا سير له لا وصول له ، وكان شيخنا البوزيدي⁽¹⁾ يقول : « الفقير بلا فكرة ، كالحياط بلا إبرة » . ١ . هـ .

وأما النظرة فهي أرق من الفكرة وأرفع ؛ لأنها مبدأ الشهود بالجولان في الأكوان ، وهدمها وتلطيفها فكرة ، والنظر في نفسه [أو غيره من التجليات]⁽²⁾ وغيبته عنها بشهود الحق نظرة ، فإذا تمكّن من الشهود ودام فيه سمّي العكوف في الحضرة ؛ ولذلك يُقال : « أول المقامات ذكر ، ثم فكرة ، ثم نظرة ، ثم عكوف في الحضرة » . والله تعالى أعلم .

125- الشاهد : قال القشيري : « قد يجري في كلامهم فلان يشاهد العلم ، وفلان يشاهد الوجد ، وفلان يشاهد الحال ، ويريدون بلفظ الشاهد : ما يكون حاضر قلب الإنسان ، وما هو غالب ذكره ، كأنه يراه ويصبره ، وإن كان غائباً عنه ، وكل ما يستولي على [قلب]⁽³⁾ الإنسان ذكره فهو شاهد ، فإن كان الغالب عليه [ذكر]⁽⁴⁾ العلم فهو بشاهد العلم ، وإن كان الغالب عليه الوجد فهو

(1) هو محمد بن أحمد البوزيدي الغماري الحسني كان صوفياً مطلقاً خيراً ديناً من أكبر تلامذة الشيخ العربي الدرقاوي توفي سنة (1229هـ) . ترجم له في إتحاف المطالع . (112/1) .

قال ابن عجيبة في فهرسته : « فلما قبضت الوردة من شيخنا البوزيدي رحمته بسبب جلالة غليظة من جلاله أبي نداء ، كانت لبعض أصحابنا . فلما رأني الشيخ بها فرح فرحاً شديداً وتحقق أنه سينتج علي في أسرار الحقائق » الفهرسة (ص: 53) .

(2) ما بين المعرفتين سقط من : أ .

(3) ما بين المعرفتين سقط من : ب .

(4) ما بين المعرفتين سقط من : أ ، والزيادة من : ب .

يَشَاهِدُ الْوُجْدَ « (1) . ومعنى الشاهد الحاضر ، فكل ما هو حَاضِرٌ قَلْبِكَ فَهُوَ شَاهِدُكَ . ا . هـ .

126 _ 127 _ 128 - الْخَمْرَةُ وَالْكَأْسُ وَالشَّرَابُ :

- أَمَّا الْخَمْرَةُ : فقد يطلقونها على الذات العلية قبل التجلي ، وعلى أسرارها (2) القائمة بالأشياء بعد التجلي فيقولون : الخمرة الأزلية تجلت بكذا ، ومن نعتها كذا ، وقامت بها الأشياء ، تسترأ على سر الربوبية ، وعليها غنى ابن الفارض في خمريته . وإنما سموها خمرة ؛ لأنها إذا تجلت للقلوب غابت عن حسنها كما تغيب بالخمرة الحسية ، وقد يُطلقونها على نفس السكر والوجد والوجدان . يقولون : كنا في خمرة عظيمة ، أي في غيبة عن الإحساس كبيرة ، وعلى هذا غنى الششتري حيث قال : خمرها دون خمري ، خمري أزلية (3) . أي سكر خمرة الدوالي دون خمري . وأما الكأس الذي تشرب منه هذه الخمرة فهو كناية عن سطوع أنوار التجلي على القلوب عند هيجان المحبة . فتدخل عليها حلاوة الوجد حتى تغيب . وذلك عند سماع أو ذكر / 30 / أو مذاكرة .

وقيل : الكأس هو قلب الشيخ ، فقلوب الشيوخ العارفين كيسان لهذه الخمرة . يسقونها لمن صحبهم وأحبهم . والشرب حضور القلب ، أو استعمال الفكرة والنظرة حتى تغيب عن وجودك في وجوده ، وهو السكر . فالشرب والسكر متصلان في زمن واحد في هذه الخمرة بخلاف خمرة الدنيا .

وقال (4) القطب ابن مشيش : المحبة آخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له من نور (5) جماله وقُدس كمال جلالة ، وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق ، والأنوار بالأنوار . والأسماء بالأسماء ، والنعوت بالنعوت ، والأفعال بالأفعال ، ويتسع النظر لمن شاء الله عز وجل . والشراب (6) بسقي القلوب والأوصال والعروق من هذا الشراب ، ويكون الشرب ،

(1) الرسالة القشيرية (ص: 86) .

(2) في ب : الأسرار .

(3) في ب : أزليا .

(4) فراغ في : ب .

(5) في أ : أنور . أثبتنا ما في : ت .

(6) في : ب : والشرب

بالتدريب بعد التدريب والتهذيب ، فيستقى كل على قدره ، فمنهم من يُسقى بغير واسطة والله تعالى يتولى ذلك منه .

قلت : وهذا نادرٌ . ومنهم من يُسقى من جهة الوسائط ، كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين . ثم قال : « وَالْكَأْسُ مَغْرَفَةُ الْحَقِّ يَغْرِفُ بِهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ الظُّهُورُ الْمُحَضُّ الصَّافِي لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْصُوصِينَ . . . إلخ كَلَامِهِ . وقد فَسَّرْتَاهُ فِي شرح الخمرية (1) .

- المريدُ والفقيرُ والمُلامِتي والمُقربُ :

129- أما المريدُ : فهو الذي تَعَلَّقَتْ إرادتهُ بمعرفة الحق ، ودخل تحت تربية المشايخ وقد تقدّم .

130- وأما الفقيرُ : فهو الذي افتقر ممّا سِوَى الله ، ورفض كل ما يشغله عن الله ، ولذلك قالوا : الفقيرُ لا يملكُ ولا يملكُ . أي (2) لا يملكُ شيئاً ، ولا يملكُهُ شيءٌ . فهو أنهض من المريد وأخص ؛ لأنَّ المريد قد يكون من أهل الأسباب ، وقيل : الفقير هو الذي لا تَقْلُهُ الأرض ولا تَظْلُهُ السماء ، أي لا يحصره الكون لرفع همته ونفوذ (3) بصيرته . وقال بعضهم : شروط الفقير أربعة : رفعُ الهمة ، وحسنُ الخِدمة ، وتعظيمُ الحرمة . ونفوذُ العزيمة (4) .

131- وأما المُلامِتي فقالوا : هو الذي لا يظهر خيراً ولا يُضمرُ شراً ، أي هو الذي يُخفي ولايته ، ويظهر من الأحوال ما يُبفر [الناس عنه] (5) .

132- والمُقربُ : هو المحقق بالفناء والبقاء .

قال بعضهم : الفقر ، والمُلامِته ، والتقريب ، أنواع من التصوف ومراتب

(1) شرح الخمرية لابن الفارض كتاب مطبوع ضمن آخر مجسوع لابن عجيبة جمعه الأساذ

العمراني الخالدي عبد السلام يبدأ من (ص: 106) إلى (150) .

(2) سقط من : ب . (3) في ب : نفذ .

(4) ب : العزيمة .

(5) ما بين المعرفتين في ب : منه الناس .

فيه . فإن الصُّوفِيَّ هو العاملُ فِي تَصْفِيَةِ وَقْتِهِ مِمَّا سِوَى اللَّهِ ، فإذا سَقَطَ مَا سِوَى الْحَقِّ (1) مِنْ يَدِهِ فَهُوَ الْفَقِيرُ ، وَإِنْ كَانَ لَا يَبَالِي بِالنَّاسِ ، وَلَا يُظْهِرُ خَيْرًا ، وَلَا يُضْمِرُ شَرًّا ، فَهُوَ الْمَلَامَتِي .

وَالْمُقَرَّبُ مَنْ كَمَلَتْ أَحْوَالُهُ ، فَكَانَ بَرِّهَ لِرَبِّهِ ، وَلَيْسَ لَهُ عَنِ سِوَى الْحَقِّ إِخْبَارٌ ، وَلَا مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ . ا . هـ .

133 _ 134 _ 135 - الْعِبَادُ وَالزُّهَادُ وَالْعَارِفُونَ : هَذِهِ الْفَافُظُ مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ ، يَجْمَعُهَا مَعْنَى التَّصَوُّفِ فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي : هُوَ التَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ / 31 / الْعَمَلُ كَانَ عَابِدًا ، وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ التَّرَكُّ كَانَ زَاهِدًا ، وَمَنْ رَصَلَ إِلَى شَهُودِ الْحَقِّ وَرَسَخَ فِيهِ (2) كَانَ عَارِفًا .

فَالْعِبَادُ وَالزُّهَادُ شَعَلَهُمْ بِخِدْمَتِهِ إِذْ لَمْ يَصْلُحُوا لِنَصْرِيحِ مَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَارِفُونَ شَعَلَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ (3) .

﴿ كَلَّا نَسُدُّ هُوْلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عِطَاءُ رَبِّكَ مُحْظُورًا ﴾ (4)

الصَّالِحُونَ ، وَالْأَوْلِيَاءُ وَالْبُدَلَاءُ ، وَالنُّقَبَاءُ وَالنُّجَبَاءُ ، وَالْأَوْتَادُ ، وَالْأَقْطَابُ (5) :

136 - أَمَا الصَّالِحُونَ : فَهَمَّ مِنْ صَلَحَتْ أَعْمَالُهُمُ الظَّاهِرَةَ ، وَاسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهُمُ الْبَاطِنَةَ .

137 - وَأَمَا الْأَوْلِيَاءُ : فَهَمَّ أَهْلُ الْعِلْمِ بِاللَّهِ عَلَى نَعْتِ الْعِيَانِ [مِنَ الْوَلِيِّ وَهُوَ الْقَرِيبُ] (6) وَقِيلَ : مِنْ تَوَالَتْ طَاعَتُهُمْ ، وَتَحَقَّقَ قُرْبُهُمْ وَاتَّصَلَ مَدَدُهُمْ .

138 - وَأَمَا الْبُدَلَاءُ : فَهَمَّ الَّذِينَ اسْتَبَدَلُوا الْمَسَاوِيَّ بِالْمَحَاسِنِ وَاسْتَبَدَلُوا (7) مِنْ صِفَاتِهِمْ صِفَاتٍ مَحْبُوبَةٍ .

(1) فِي ب : اللَّهُ .

(2) سَقَطَ مِنْ : ب .

(3) فِي : ا . بِمَعْرِفَتِهِ . التَّصَوُّوبِ مِنْ : ب .

(4) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةٌ : (20) .

(5) فِي أ : الْقُطْبُ : التَّصَوُّوبِ مِنْ : ب .

(6) مَا بَيْنَ الْمَعْتُوقَتَيْنِ فِي ب : يَعْنِي الْوَلِيَّ وَهُوَ الْقَرِيبُ .

(7) سَقَطَ مِنْ : ب .

139- وأما التُّقْبَاءُ : فهم الذين نقبوا الكون وخرجوا إلى فضاء شهود المَكُونِ .

140- وأما النجباء : فهم السابقون إلى الله لنجابتهم وهم أهل الجِدِّ والقريحة من المريدين .

141- وأما الأوتاد : فهم الرّاسخون في معرفة الله وهم أربعة ، كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة .

142- وأما القطب : فهو القائم بحق الكون ، والمُكُونُ وهو واحد . وقد بُلِّغَ على من تَحَقَّقَ بمقام وعلى هذا يتعدَّدُ في الزمان الواحد أقطاب في الأحوال والمقامات والعلوم ، يُقال : فلانٌ قُطِبَ في العلوم ، أو قطب في الأحوال ، أو قطب في المقامات ، إذا غلب عليه شيء منها ، فإذا أريد المقام الذي لا (1) يتصف به إلا واحد ، عبَّرَ عنه بالغوث وهو الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب ، وأوتاد وأبدال . [وتقدم أن الأفراد خارجون عن دائرته] (2) وله الإمامة والإرث والخلافة الباطنة ، وهو روح الكون الذي عليه مداره كما يشير إلى ذلك كونه بمنزلة إنسان العين من العين ، ولا يعرف ذلك إلا من له قِسْطٌ ونصيب من سرِّ البقاء بالله .

وأما تسميته بالغوث ، فمن حيث إعائته العوالم بمادته وربّته الخاصة ، وله علامة يُعرفُ بها .

قال القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي (3) رحمه الله : للقطب خمس عشرة علامات فمن ادّعاها ، أو شيئاً منها ، فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة ، ومدد حملة العرش العظيم ، ويكشف له عن حقيقة الذات ، وإحاطة

(1) سقط من : ب .

(2) ما بين المعرفتين سقط من : ب .

(3) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار أبو حسن الشاذلي ولد بغمارة بالمغرب عام (593 هـ) شيخ الطريقة الشاذلية وشاذلة قرية بتونس توفي رحمه الله سنة (656 هـ) .
ترجم له في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطغمي (ص : 173 ، 174) ،
وجامع الكرامات العلية لأبي علي الحسن الكوهن (ص : 19 - 59) .

الصفات ، وَيُكْرَمُ بِالْحُكْمِ ، والفصل بين الوجودَيْنِ ، وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى انتهاه ، وما ثبت فيه ، وَحُكْمٌ ما قبل ، وَحُكْمٌ ما بعد ، وما لا قبل ولا بعد ، وعلم البدء وهو : [العلم]⁽¹⁾ المحيط بكل علم وبكل معلوم وما يعود إليه . ا . هـ .

فَالْعَلَامَةُ الْأُولَى : أن يكون متخلفاً بأخلاق الرِّحْمَةِ على قَدَمِ مَوْرُوْثِهِ ﷺ
/32/ [صاحب حِلْم]⁽²⁾ وَرَأْفَةً وَشَفَقَةً وَعَقْوَ وَعَقْلَ وَرَزَانَةً وَجُودَ وَشَجَاعَةً كَمَا
كَانَ مَوْرُوْثُهُ ﷺ .

والعلامة الثَّانِيَةُ : أن يُمدَّ بِمَدَدِ الْعَصَةِ وهي الحفظ الإلهي ، والعصمة الربانية كما كان موروثه ﷺ غير أنها في الأنبياء واجبة . وفي الأولياء جائزة . ويُقال : لَهَا الحِفظ . فلا يتجاوز حداً ولا ينقض عهداً .

والثالثة : الخِلافة ، وهو أن يكون خليفة الله في أرضه أميناً على عباده بالخِلافة النبوية ، قد بايعته الأرواح وانقادت إليه الأشباح .

والرابعة : النِيبَةُ ، وهو أن يكون نائباً عن الحق ، في تصريف الأحكام حسبما اقتضته الحكمة الإلهية وفي الحقيقة ما ثم إلا القدرة الأزلية .

والخامسة : أن يمدَّ بِمَدَدِ حَمَلَةِ العرش من القوة والقرب ، فهو حامل عرش الأكوان ، كما أن الملائكة حاملة عرش الرحمن .

والسادسة : أن يَكشِفَ له عن حقيقة الذات ، فيكون عارفاً بالله معرفة العيان . وأما الجَاهِلُ بالله فلا نصيب له في القُطْبَانِيَةِ .

والسابعة : أن يَكشِفَ له عن إحاطة الصفات بالكائنات فلا مَكُونٌ إلا وهو قائم بالصفات وأسرار الذات . ومعرفة القطب بإحاطة الصفات ، أتم من غيره لأنها في حقه ذوقية لا علمية .

والثامنة : أن يكرم بالحكم والفصل بين الوجودَيْنِ أي بين الوجود الأول قبل التجلي وهو المعبر عنه بالأزل وبالكنز القديم ، وبين الثاني الذي وقع به التجلي

(1) ما بين المعقوفين سقط من : ا ، الزيادة من : ب .

(2) ما بين المعقوفين سقط من : ب .

والفصل بينهما أن يُعَلِّمَ أن الأول ربوبية بلا عبودية ، ومعنى بلا حس ، وقدرة بلا حكمة بخلاف الثاني فإنه متصف بالضدين ، ربوبية وعبودية ، معنى وحساً قدرة وحكمة ؛ ليتحقق فيه اسمه الظاهر واسمه الباطن فالضدان مختصان بالقبضة المتجلي بها ؛ وأما العظمة المحيطة بها الباقية على كثرتها فهي باقية على أصلها فأفهم .

التاسعة والعاشر : أن يُكْرِمَ بالحكم بانفصال الأول عن الأول ، والمراد بانفصال الأول ، انفصال (1) نور القبضة عن النور الازلي الكنزي وهو بحر الجيرون . والمراد بما انفصل عنه ما تفرع من القبضة إلى منتهاه من فروع التجليات ؛ أي في الحال . وأما في المآل فلا انتهاء له ؛ لأن تجليات الحق لا تنقطع أبداً ، فإذا انقضى هذا الوجود الدنيوي ، تجلّى بوجوده آخر آخروري ، ولا نهاية له .

الحادية عشرة (2) : أن يعلم ما ثبت في المنفصلات من المزايا أو الكرامات أو ضد ذلك ، يعني في الجملة . وأما التفصيل فمن خصائص الربوبية .

الثانية عشرة : [أن يعلم] (3) حكم ما قبل ، أي ما قبل التجلي وحكمه هو التنزيه المطلق ؛ لأنه باق على كثرته لم تدخله الضدان .

الثالثة عشرة : أن يعلم حكم ما بعد وهو التكليف / 33 / في مظاهر التعريف فيأما برسم الحكمة وستراً لاسرار القدرة .

الرابعة عشرة : أن يعلم ما لا قبل ولا بعد ، أي يعلم ما لا قبل لها ولا بعد لها وهي الحزمة الازلية والذات الاصلية كما قال ابن الفارض :

فلا قبلها قبل ولا بعدها بعد وقبيلة الإبعاد هي لها ختم

الخامسة عشرة : أن يطلع على علم البدء ، والمراد علمه تعالى السابق للأنبياء قبل أن تكون ، وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم ، إذ لا يخرج عن علمه تعالى شيء ، وكل علم وكل معلوم يعود إليه ، وهذا هو سر القدر (4) . فقد

(3) ما بين العقوفتين سقط من : ب .

(2) سقط من : ب .

(4) في ب : القدرة .

بكاشف القطب على وجزئيات منه ولا يشترط إحاطته بكلية الأشياء وجزئياتها؛ لأن ذلك من وظائف الربوبية ، وإنما يطلع الله تعالى على جزئيات من نوع مخصوص ، وقد أشار الشيخ أبو العباس المرسى رحمته إلى شيء من ذلك فقال : « ما من ولي الله كان أو هو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه (1) وحظه من الله تعالى » .

وقال آخر : ما من نطفة تقع في الأرحام إلا وقد أطلعني الله عليها . وما يكون منها من ذكر أو أنثى ، وهذا من جملة الكرامات التي أخف الله تعالى بها بعض أوليائه ، وقد يكون قطبا كاملا وهو لم يطلع على [شيء من] (2) هذه الأمور ، إلا أنه عارف بالله . راسخ القدم في المعرفة وإذا أراد الله تعالى أن يظهر شيئا في مملكته أطلععه عليه وقد لا يطلععه . وقد قال عليه السلام : * والله إنني لا أعلم إلا ما علمني ربي * . قال ذلك حين ضلّت ناقته فلم يدّر أين ذهبت ، فتكلّم بعض المنافقين في ذلك . ثم أعلمه الله تعالى بها .

وبالجملة فالاطلاع على المغيبات من جملة الكرامات وهي لا تشترط في الولي قطبا كان أو غيره . والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم هذا آخر ما جعنا من حقائق التصوف وشرح ما يتعلق بكل حقيقة جعله الله خالصا لوجهه الكريم وأدام به التفع العميم .

(1) في ب : نفسه .

(2) ما بين المعقوفين سقط من : ب .

كشَفُ النِّقَابِ عَنْ سِرِّ الْأَبَابِ

لِلشَّيْخِ
عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ عَجِيْبَةَ

ت: 1224 هـ

تقديم وتقديم
د. عبد المجيد خيالي

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء

مقدمة التحقيق

كتاب كشف النقاب عن سِرِّ لَبِّ الْإِلْبَابِ

هو رسالة صغيرة لابن عجيبة تحدث فيها عن الطلسم الذي يسمى بالكتر الذي سترَ وحجَّبَ غيبه عن الإنسان وهو ثلاثة أنواع.

1- طلسم توحيد الأفعال : بأن فعل العبد كله لله تعالى وهو سِرٌّ من أسرار الالهية أخفاه الله عن عبده وجعل له اختياراً في الظاهر لتقوم به الحجة عليه ، وهذا السِرُّ الذي ستره الله لا يصلح للعبد أن يحتج به لنفسه فيترك العدل أو يعمل بالمعاصي فيقول: ما قَدَّرَهُ اللهُ علي فهو مُقَدَّرٌ خيراً أو شراً فيتكل . فالعمل واجب وكل خَلْقٍ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له .

2- طلسم توحيد الصفات : بمعنى أن صفات الإنسان التي هي السمع والبصر والإرادة والكلام شبيهة بالصفات الإلهية إلا أن الصفات البشرية صفة ناقصة وحادثه وصفات الله تعالى صفات قديمة وكاملة .

3- طلسم توحيد الذات : ويسمى بعالم الحكمة وعالم الاثر وعالم الاشباح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد : فهذا تقييد عجيب يرفع حجاب الوهم عن الخاذق اللبيب ، يتضمن رفع الحجب عن السر المصون وزوال الطلاسم عن الكثر المدقون . وسميته : كشف النقاب عن سر لب الألباب : وهذا أوله والله المستعان .

اعلم ان الحق جلّ جلاله أودع في هذا الأدمي أسرار ذاته وصفاته وأفعاله ، لكن حجب ذلك عنه بحكمته وقهره ، فجعل على كل واحد من الأسرار الثلاثة طلّساماً وحجاباً مستوراً ، فستر ذلك السر عن العبد بسبب الطلاسم الذي غشي به قلبه طلّسام توحيد الأفعال .

اعلم أن فعل العبد كله من الله ، بل لا فاعل في الوجود سواه . قال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (1) وقال تعالى : ﴿إِنْ رَبُّكَ فَعَلٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (2) .

وقال : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (3) ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (4) . ثم إن الحق جلّ جلاله جعل على (5) قلب العبد طلّساماً غشي به نور توحيد الأفعال ، وهو ما جعل له من الاختيار في الظاهر ، فتوهم أنه مختار إن شاء فعل ، وإن شاء ترك ، وهذا يحس به كل عاقل من نفسه حتى يفرق بين حركة الأرتعاش وغيرها : ولذلك قيل في الجبرية : أنهم قوم بله ، حيث لم يفرقوا بينهما ، وهذا هو (6) المسمى بالكسب عند أهل السنة ، وبالْحِكْمَة عند

(2) سورة هود : آية (107) .

(4) سورة البقرة : آية (253) .

(1) سورة القصص : آية (68) .

(3) سورة الصافات : آية (96) .

(5) مستدرتة على الهامش في : ب .

(6) مستدرتة على الهامش في : ب .

الصوفية، فيقولون : القُدْرَةُ تُبْرَزُ والحِكْمَةُ تُسْتَرُ وبسبب هذا الاختيار [الظاهر] (1) جاءت الشرائع وعليه يترتب الحساب من الثواب والعقاب . وفي حقيقة الأمر لا فاعل إلا الله ، لكن هذا سرٌّ من أسرار الألوهية اخفاه الله عن عبده ، وجعل له اختياراً في الظاهر لتقوم به الحجة عليه (2) . ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ (3) وهذا السرُّ الذي ستره الله لا يصلح للعبيد أن يحتج به لنفسه فيترك العمل أو يعمل بالمعاصي ؛ لأن العمل مطلوب من ناحية الشريعة ، وهي إنما تعلقت بالظواهر وهذا الطلسم يغلظ ويرق بقدر رقة الحجاب وتشافته ، فإذا غلظ الحجاب كثُر في العبد التدبير والاختيار ، حتى ربما يجزم أنه الفاعل المختار كما توهمت المعتزلة .

وإذا ضعف الطلسم ورق الحجاب ، قلُّ تدبيره واختياره وانعزل من حوله وقوته ، فإذا اتصل العبد بشيخ التربية ، عزله عن اختيار نفسه وأمره بتحكيمة على نفسه في أموره كلها ، فيقف عند أمره ونهيه . فإذا حصل له الفهم عن الله وصار يفقه قلبه في الأمور حكم الله على نفسه ، وانعزل عن تدبيره واختياره ، وإذا وقع منه التدبير والاختيار كان بالله ومن الله وإلى الله محلول فيه بدبر وينظر ما يعمل ، فحينئذ ينكسر عنه الطلسم عن توحيد الأفعال ، فيرى الأفعال كلها من الله ذوقاً وتشفاً لا علماً فقط ، فيدخل حينئذ (4) في السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ؛ إذا لم يبق له فعل يحاسب عليه ، بخلاف غيره ؛ فإنه لكثافة حجابيه ينسب الفعل لنفسه أو لغيره ، وعلامته أنه ينقص رجاؤه عند وجود الزلل ، ويقوى عند وجود العمل . ويغضب على (5) من أذاه . مع أنه يعتقد أنه لا فاعل إلا الله وأن العبد مجبور في قالب الاختيار ، لكن لا يكفي في هذا مجرد العلم ، ولا بد من الذوق الصريح كما تقدم ، وعن هذا الذوق عبر

(1) ما بين المعرفتين سقط من : أ .

(2) ساقط من : ب .

(3) سورة الأنعام : آية (149) .

(4) هي ب : أيضاً .

(5) في أ : عند . التصويب من : ب .

الجيلاني (1) رحمته حيث قال :

أراني كالآلات وهو محركي
ولست بجبري ولكن مشاهد
أنا قلمٌ والافتدَارُ أصابعُ
فعال مرید ما له من ينازع

فإذا حصل للعبد هذا الذوق، زال عنه الإشكالُ والتعارضُ بين الحقيقةِ والشريعةِ، فينزلُ الحقيقةُ في محلِّها وهو الباطنُ، والشريعةُ في محلِّها وهو الظاهرُ، فقولُه [رحمته] (2) : « اعملوا فكلُّ ميسرٍ لما خلقَ اللهُ له » (4) . جمع فيه بين شريعةٍ وحقيقةٍ بقوله : « اعملوا » شريعةٌ « وكل ميسر... » إلخ . حقيقة فكانه قال عليه السلام : « اعملوا » أي توجهوا للعمل في الظاهر ولستم بعاملين في الحقيقة .

وقوله عليه السلام : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » حقيقة وقوله تعالى : ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ (4) . شريعةٌ ، فالشريعةُ تُنسبُ العملَ للعبد باعتبار ما جعل فيه من الاختيار في الظاهر الذي هو الكسبُ ، والحقيقة تنفيه عنه باعتبار ما في نفس الامر .

وهكذا يسير العبدُ بين حقيقةٍ وشريعةٍ .

فالحقيقةُ : اعتقادُ في الباطنِ ، والشريعةُ : عملٌ في الظاهرِ ، وقد تمسكَ الكُنَّازُ بالحقيقةِ وحدها حيث قالوا : ﴿ لو شاء اللهُ ما أشركنا ﴾ (5) . « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم » (6) فلم ينفعهم ذلك حيث أهملوا الشريعةَ ورفضوها .

(1) هو أبو صالح عبد القادر الجيلاني وُلِدَ سنة (470 هـ) بحيلان وتوفي ببغداد سنة (561 هـ) ترجم له في : الطبقات الكبرى للشعراني (1 / 108 - 114) ، وجامع الكرامات العلية (ص 78 ، 77) .

(2) ما بين المعقوفين سقط من : ب .

(3) عزاء السبوطي في الجامع الصغير للطبراني من رواية ابن عباس وعمران بن حصين ورمز له بـ (صح) أي صحيح : (77 / 1) .

(4) سورة النحل آية (32) .

(5) سورة الانعام آية (148) .

(6) سورة الزخرف آية (20) .

وكذلك من قال : دعاني وَسَدَّ البابَ فما تكون حيلتي فإن احتج بالقدر ، مع أَنَّ الاختِيَارَ الذي جعله الله في العبد في الظاهر حاصل له في العادة ، لأنه قادرٌ على الخُرُوجِ مِنَ الكُفْرِ ، ينطق بالشهادة مثلاً . واما الجِبْرُ البَاطِنِيُّ والقَهْرُ الإلهيُّ فلا يتعلَّقُ به التَّكْلِيفُ ؛ إذ لَيْسَ في طَوْقِ العَبْدِ ، بَلْ هو من أسرار قَهْرِ الرُّبُوبِيَّةِ الذي اِخْتَصَّ اللهُ به ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (1) .

قال سهل (2) **تَوْحِيدٌ** : « الألوهية أسرار لو كشفت لبطلت النبوءات (3) وللنبوءات أسرار لو كشفت لبطل العلم ، وللعلم أسرار لو كشفت لبطلت الأحكام » انتهى .

فلو انكشفت أسرار الألوهية من غير رداء لصار الخلق كلهم أغنياء عن تلقي العلم لاستغراقهم في بحار الأحذية ؛ فلا يحتاجون إلى واسطة ولو انكشفت أسرار النبوءات للخلق ؛ لصاروا كلهم علماء لظهور العلم الإلهي الذي كان كامناً في بطونهم ، فيستغنون عن تلقي العلم من الانبياء ، ولو انكشفت أسرار العلم بحيث يتبين الشقي من السعيد لبطلت الأحكام ، إذ يقول الشقي : لا ينفعني عمل فلا يعمل ، ويقول السعيد : أنا سعيد لا نحتاج إلى عمل . فتبطل أحكام الشرائع ، فأبهم الله تعالى هذا الأمر عن عباده ، ودعا الكل إلى طاعته وتوحيده فهدى من سبقت له السعادة ، وخذل من سبق له الشقاء . قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (4) .

ومن سبقت له رتبة عالية حركه إلى النهوض لأسبابها إذا (5) أراد الله أن

(1) سورة الانبياء ، آية : (23) .

(2) سهل بن عبد الله بن يونس التنسرى توفي سنة (283 هـ) وقيل : سنة (273 هـ) . ترجم له في صفة الصغوة (41 / 4 ، 42) ، الرسالة القسنيرية (ص 400 ، 401) ، الطبقات الكبرى للشعراني (77 / 1 - 79) .

(3) في ب : النوة .

(4) سورة بونس ، آية : (25) .

(5) في ب : إن .

يظهر فضله عليك خلق فيك (1) ونسب إليك ، ومن سبقت له رتبة متوسطة حركةً إلى أسبابها على ما جرى به القدر السابق فلا يصح الاحتجاج بالقدر في هذه الدار .

فإن قلت: قد ورد في الحديث أن آدم وموسى عليهما السلام ، قد تحاجاً فقال موسى عليه السلام لأدم : « أنت الذي خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، وقال آدم: يا موسى أتلومني على أمر قضاه الله عليّ قبل أن أخلق ، فحجج آدم موسى » أي غلبه بالحجة .

قلنا : كان هذا الاحتجاج بعد موتهما في دار البرزخ وليست دار التكليف ، وإنما هي دار التعريف ، فيصح الاحتجاج فيها بالقدر ، قال : قلت : كيف يتوجه العتاب إلى العبد وهو لم يفعل شيئاً في الحقيقة ؟ قلنا : توجه إليه باعتبار نسبة الفعل لنفسه على الاختيار الذي خلقه الله فيه الظاهر روي أن العبد إذا بلغ حدّ التكليف أرسل الله له ملائكة [ولعلمهم الحفظلة] (2) فيقولون له : من أنت ؟ فيقول : عبد الله . فيشهدون عليه بالعبودية لله ، فإذا تحرك أول حركة ، قيل له : من فعل هذا ؟ فيقول : أنا ، فيشهدون عليه بنسبة الفعل لنفسه . ا . هـ . فعلى هذه النسبة يقع الحساب ، فمن خرج عنها ذوقاً وكشفاً ، ورآها من الله حقاً سقط عنه الحساب كما تقدم في السبعين ألفاً والله تعالى أعلم .

طلسام (*) توحيد الصفات : اعلم أن هذا الهيكل الإنساني جعله الله أمودجاً ربانياً تحاكي [صفاته (3)] صفات الرحمن ، فجعل فيه قدرة وإرادة وعلماً وحياة وسمعا وبصراً وكلاماً . وهذا معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورته على بعض التأويلات ، إلا أن هذه الصفات التي جعلها الله فيه ، حادثة ناقصة ، وصفات الحق تعالي قديمة كاملة وهي كامنة في الإنسان كمون الثمار في الأغصان ، أو كمون الزبد في اللبن ، فاحتجبت صفات الحق القديمة بصفات العبد

(1) محر في . ب .

(2,3) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من . ب .

(*) انظر كتاب : طلسام توحيد الأفعال للشيخ ابن عجيبة مخطوط عدد (1148 ك) ضمن مجموع .

الحادثة ، وقد نخرق له العادة فيظهر عليه من العلم أو القدرة [أو السمع] (1) أو البصر أو الكلام ما يبهر العقول ، ثم يستر ذلك عنه فيرجع لأصله ، وتقف عند حدّه ، فلما احتجبت عنه صفات الحق بطلسم وجود صفات نفسه ، زعم أنّه بقدر بقدرته ويريد بإرادته ، ويحيى بحياته ، ويسمع بسمعه ، ويبصر ببصره ويتكلم بكلامه ، وفي الحقيقة إنما صفاته قائمة بصفات الحق الحق ، وشعاع من شعاعها لا تأثير لها أصلاً ، فإذا انكسر عنه هذا الطلسم الوهمي (2) ، وارتفع له الحجاب عن توحيد الصفات تحقق ألا قدرة له ، ولا إرادة ولا علم ولا حياة إلا بقدرة الله وإرادته .

وكذا سائر صفاته ، فصار يتحرك بقدرة الله ، ويريد بإرادته ، ويسمع ويبصر بالله ، ويتكلم بالله ، وفي ذلك يقول الششتري رحمته : « أنا بالله أنطق ومن الله أسمع » .

وقول القطب ابن مشيش : حتى لا أرى ، ولا أسمع ولا أحس ولا أجد إلا بهما . وفي مثل هذا ورد الحديث : « فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به » (3) . الحديث والله تعالى أعلم .

- طلسم توحيد الذات : اعلم أن [الله تعالى] (4) كان كنزاً خفياً لطيفاً أركياً لم يعرفه أحدٌ ، فلما أراد أن يُعرفَ تجلّى بتجليات من ذلك الكنز كشفها وأظهرها بمقتضى اسمه الظاهر ؛ ثم أبطنها وسترها بمقتضى اسمه الباطن ، فصارت ظاهرة باطنة أبطنها بما أظهر عليها من أحكام العبودية ، وأوصاف البشرية ، ونعوت الحديثية ، من حسن التكوين والتشكيل والتقييد والتحييز ، ولا حادث في الحقيقة إنما تجدد لها التجلي والظهور ، فبطنت بعد ظهورها ، فتحقق

(1) ما بين المعقوفين سقط من : أ . الزيادة من . ب .

(2) في أ : الوصفي التصويب من : ب .

(3) أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الرقاق ، (38) باب في التواضع ، حديث (6502) (ص : 1639) من رواية أبي هريرة ، وهو جزء من حسدث أوله : « إن الله

قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » . . . الحديث

(4) ما بين المعقوفين في : ب : أن الحق جلّ جلاله .

فيها اسمه الظاهر [واسمه] (1) الباطن ، فمن نظر إلى أصلها وغاب عن حسنها لم يحتجب بها عن الحق تعالى ورآه ظاهراً فيها ، ومن وقف [عند] (2) حسنها الظاهر ؛ حجب بها عن شهود الحق وصارت في حقه ظلمة ؛ ولذلك قال في الحكم : « الكون كله ظلمة وإنما آثاره ظهور الحق فيه » (3) . فإنما هو ظلمة في حق أهل الحجاب . وأما في حق أهل العيان فالكون عندهم كله نور فإذا اتصل العبد (4) بشيخ التربية غيبه عن أوصاف بيشريته بشهود روحانيته ، وعن أحكام العبودية بظهور نور الربوبية ، وعن حس الكائنات بشهود معاني أسرار الذات فيغيب عن نفسه بشهود محبويه ، وعن الكون بشهود المكون ، ويقال : مقام المحبوبة كما ورد في بعض روايات الحديث المتقدم : « فإذا أحببته كنته » ، فإذا انكسر هذا الطلسماء وهو وجود العبد الوهمي ، ووقوفه مع أوصاف بشريته بالغيبة عنها ظهر له هذا الكثر الذي كان خفياً ؛ وهو الذات الاقدس ، فيدخل مقام الإحسان وينال رتبة الشهود والعيان وهي (5) الولاية الكبرى ، والسعادة العظمى ، وعن هذا عبر ابن العريف (6) رحمه الله :

بذلك سر طال عنك اكتنامه ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فإن غبت عنه حل فيه وطبت على موكب الكشف المصون خيامه

(1) ما بين المعوقتين زيادة من : ب .

(2) في أ . مع . التصويب من : ب .

(3) الحكم لابن عطاء الله السكندري (ص 106) رقم (14) .

(4,5) سقط من : ب .

(6) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الأندلسي عرف بابن العريف من أعلام الصوفية بينه وبين القاضي عياض مكاتبات توفي سنة 536 هـ / 1141م . ترجم له في بغية الملتبس (ص 166) رقم (360) ، الصلة لابن بشكوال (1 / 81) ، نيل الابتهاج (ص 68) رقم (36) ، شذرات الذهب (4 / 112) ، شجرة السور الزكية (196/1) رقم (432) بتعليقنا وتخريجنا لحواثمه .

وجاء حديث لا يفلس سماعه شهى إلينا نشره ونظامه

إذا سمعته النفس طاب نعيمها وزال عن القلب المعنى غرامه

وقال الشُّشْتَرِي فِي بَعْضِ أَزْجَالِهِ : « يَا قَاصِدًا عَيْنِ الْخَبْرِ غِطَاهُ أَيْنَكَ ، الْخُبْرُ (1) مِنْكَ وَالْخَبْرُ وَالسَّرُّ عِنْدَكَ ، ارجع لذاتك واعتبر ما ثم غيرك » .

ثم قال : « اسمع كلامي والتهم ، إن كنت تفهم ؛ لأن كنتك قد عدم ، عن كل طلسم » .

واعلم أنّ وجودَ هذا الطَّلَسَامِ حقٌّ وحكمةٌ صدرُ أسرارِ الذَّاتِ العَالِيَةِ ، وَسِرُّ أسرارِ الرُّبُوبِيَّةِ لِيَبْقَى الْكَتْرُ مَدْفُونًا ، وَالسَّرُّ مَضُونًا وَلَوْلَا هَذَا الطَّلَسَامُ ، لَانْتَضَحَ السَّرُّ وَتَأَلَّهَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ فَيَتَذَلُّ بِهَا إِظْهَارًا ، وَيُنَادِي عَلَيْهِ بِلِسَانِ الْاِشْتِهَارِ وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ .

وما بين الناس ، وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، وهو رداء الحس والقهرية المنشور على وجه أسرار المعاني ، وهذا في حق أهل الحجاب [في الدنيا] (2) .

وَأَمَّا مَنْ زَالَ عَنْهُ طَلَسَامُ تَوْحِيدِ الذَّاتِ فَلَا يُحْجَبُ عَنْهُ الْحَقُّ تَعَالَى سَاعَةً لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، فَهَمَّ يَنْظُرُونَ إِلَى الذَّاتِ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَيُسَمُّوهُ هَذَا الطَّلَسَامِ عَالَمِ الْفِرْقِ ، وَعَالَمِ الْحِكْمَةِ ، وَعَالَمِ الْمَلِكِ ، وَعَالَمِ الْأَشْبَاحِ ، وَعَالَمِ الْأَثَرِ ، [وَعَالَمِ الشَّهَادَةِ] (3) وَيُسَمَّى الْكَتْرُ الَّذِي سَتَرَ بِهِ عَالَمَ الْجَمْعِ ، وَعَالَمَ الْقُدْرَةِ ، وَعَالَمَ الْمَلَكُوتِ وَعَالَمِ الْأَرْوَاحِ ، وَعَالَمِ الْغَيْبِ . وَأَمَّا عَالَمُ الْجَبْرُوتِ فَهوَ الْبَحْرُ اللَّطِيفُ الْفَيَاضُ الَّذِي يَتَدَفَّقُ مِنْهُ أَنْوَارُ الْمَلَكُوتِ ، وَهُوَ مَا لَمْ يَفْعَ بِهِ التَّجَلِّيَ مِنْ الْكَتْرِ الْمَصُونِ وَالسَّرِّ الْمَكْتُونِ ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ وَهُوَ وَجُودُ الْحَقِّ تَعَالَى . فَمَا وَقَعَ بِهِ التَّجَلِّيُّ مِنْ نَظَرِهِ بَعَيْنِ الْجَمْعِ سَمَاهُ مَلَكُوتًا ، وَمِنْ

(1) في ب : الحسر .

(2) ما بين المعنوفين سقط من : ب .

(3) ما بين المعنوفين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

نظره بعين الفرق في عالم الحكمة سماه ملكا ، وما لم يقع به التجلي من الاسرار اللطيفة الغيبية فهو جيروت ، وهذا مجرد اصطلاح [خارج عن اصطلاح] (1) اللغة ، فاهل الفرق من اهل الحجاب لا يرون إلا الملك لوقوفهم مع حس الكائنات ، فاحتجبت عنهم أنوار الملكوت وأهل الفناء لا يرون الملكوت ، وتسرح أفكارهم في أسرار بحار الجبروت ، وأهل البقاء يرون الملكوت ، ويسرحون في بحار الجبروت ، وَيَتَنَزَّلُونَ إلى عالم الملك لأداء حقوق العبودية والأدب ، مع الربوبية وَيَتَفَنُّونَ في علومه ، فلا يحجبهم جمعهم عن فرقهم ، ولا فرقهم عن جمعهم ولا فناؤهم عن بقائهم ولا بقاؤهم عن فنائهم ، بل يُعْطُوا كل ذي حَقَّ حَقَّهُ ويوفون كل ذي قسط قسطه .

جعلنا الله من خواصهم بِسْمَةِ وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً [والحمد لله رب العالمين] (2) .

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين زيادة من : ب .

فهرس موضوعات الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع	الرقم الترتبي
الكتاب الأول : معراج التشوف إلى حقائق التصوف		
5	مقدمة التحقيق	5
7	عصر ابن عجيبة	7
8	حياة المؤلف	8
15	منهجية التحقيق	15
21	صور المخطوط	21
25	التصوف	1
26	واشتقاقه	2
27	التوبة	4
28	الإنابة	5
28	الخرف	6
28	الرجاء	7
28	الصبر	8
29	الشكر	9
29	الورع	10
30	الزهد	11
30	التوكل	12
31	الرضا	13
31	التسليم	14
31	المراقبة	15
32	المحاسبة	16
32	المحبة	17
33	المشاهدة والمعانية	19_ 18
33	المعرفة	20
33	التقوى	21
33	الاستنامة	22
34	الإخلاص	23

34	الصدق	24
35	الطمأنينة	25
36	الشوق والاشتياق	27
36	الغيرة	28
37	الفتنة	29
37	الإرادة	30
38	المجاهدة	31
38	الولاية	32
39	الحرية	33
40	العبودية	34
41	القناعة	35
41	العافية	36
42	اليقين	37
43	علم اليقين - عين اليقين - حق اليقين	40 - 38
43	النعمة	41
44	الفراسة	42
45	الخلق	43
45	الجود والسخاء والإيثار	46 - 44
45	الفقر	47
47	الذكر	48
48	الوقت	49
48	الحال	50
49	المقام	51
50	القيض والبسيط	53 - 52
50	الخواطر والواردات	55 - 54
51	الواردات	56
51	النفس والروح والسر	59 - 57
53	النصر والتأييد والعصمة	60 - 26
54	الهداية والرشد والتسديد	65 - 63
54	الحكمة	66
54	العقل	67
55	العقل الموهوب	68
55	العقل المكسوب	69

56	توحيد البرهان	70
56	توحيد العيان	71
57	الاحدية والإيحاد والفرديانية	74 - 72
57	حقيقة الذات العلية	75
58	العماء	76
59	الفناء والبقاء	78 - 77
60	القدرة	79
60	الحكمة	80
60	الفرق والجمع	82 - 81
61	الحس	83
61	المعنى	84
62	المملك	85
62	الملكوت	86
62	الجبروت	87
63	الناسوت	88
63	اللاهوت	89
63	الرحموت	90
63	التواجد	91
64	الوجد	92
65	الوجدان	93
65	الوجود	94
65	الذوق ، الشرب ، السكر ، الصحو	98 - 95
66	المحو	99
66	الإثبات	100
67	الستر والتجلي	120 - 101
67	المحاضرة	103
67	المكاشفة	104
67	المسامرة	105
68	اللوائح ، اللوامع ، الطوائع	108 - 106
69	البواده والهجوم	110 - 109
70	انتلوين والتمكين	112 - 111
70	القرب والبعد	114 - 113
71	الشريعة	115

71 الحقيقة	116
72 الطريقة	117
72 الذات والصفات	119 - 118
73 الانوار	120
73 الأسرار	121
74 النفس	122
75 الفكرة والنظرة	124 - 123
76 الشاهد	125
77 الخمرة ، الكأس ، الشراب	128 - 126
78 المرید	129
78 الفقير	130
78 الملامتي	131
78 المقرب	132
79 العباد ، الزهاد ، العارفون	135 - 133
79 الصالحون	136
79 الأولياء	137
79 البدلاء	138
80 التقباء	139
80 النجباء	140
80 الأوتاد	141
80 القطب	142

الكتاب الثاني : كشف سر لب الألباب

87 مقدمة التحقيق	
93 - 89 صور المخطوط	
94 طلسم توحيد الأفعال	
98 طلسم توحيد الصفات	
99 طلسم توحيد الذات	
108 - 103 مصادر ومراجع	
109 فهرس الموضوعات	